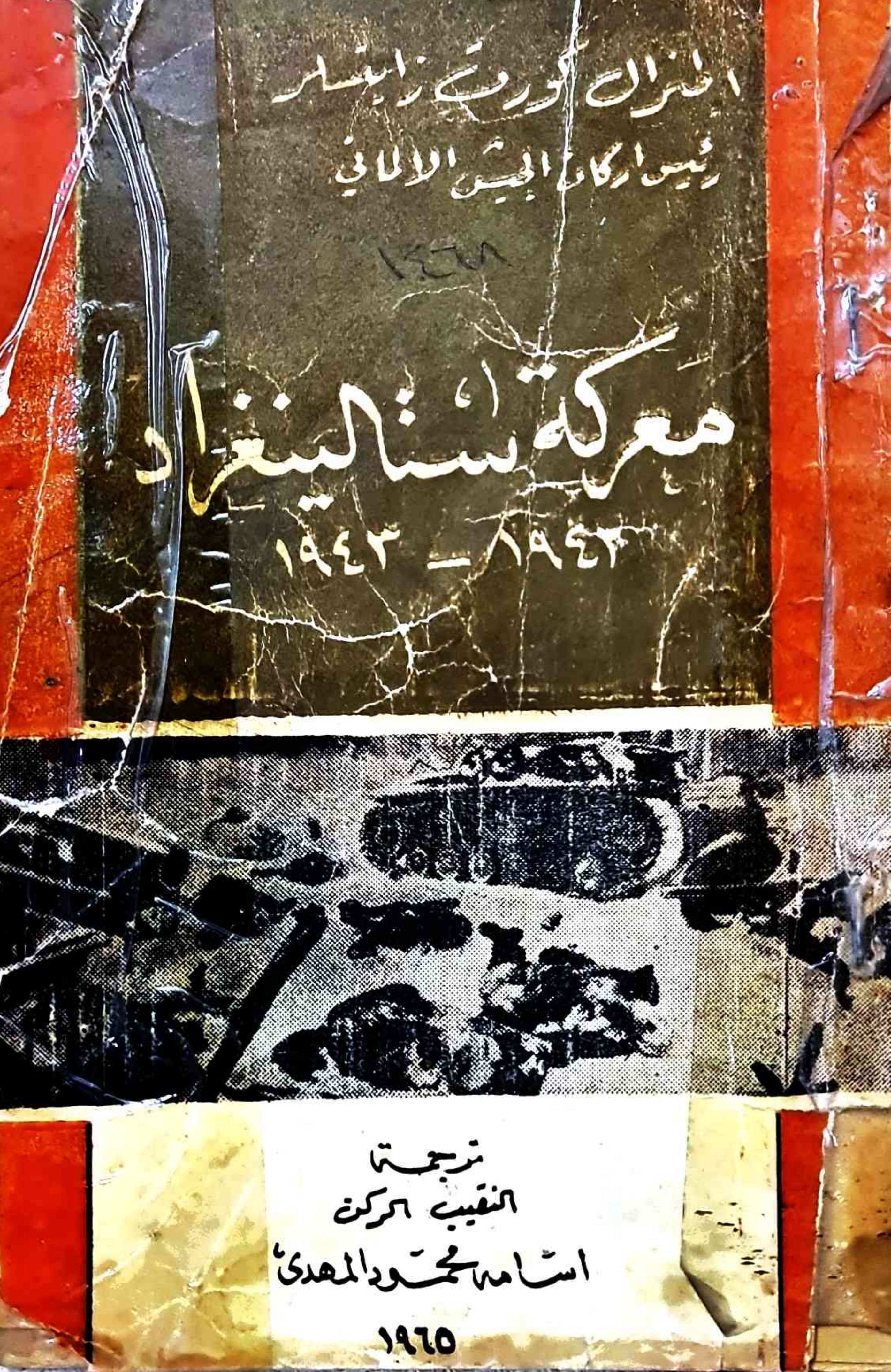

الفريق كورت زايتسلر
رئيس اركان الجيش الالماني
معركة ستالينغراد
١٩٤٢ ـ ١٩٤٣
ترجمة
النقيب الركن
اسامة محمود المهدي
١٩٦٥


م. سرمد حاتم شكر

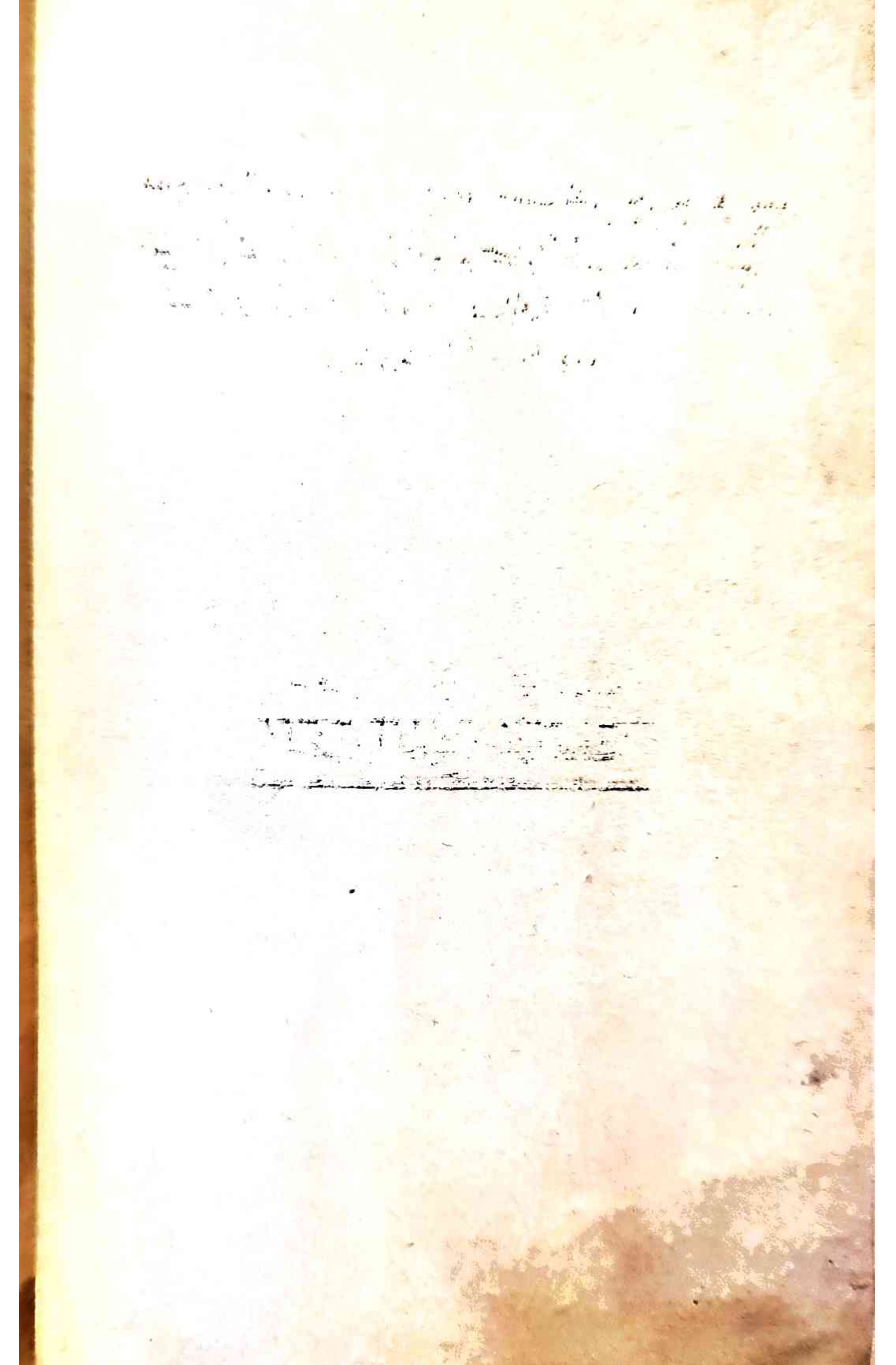
الجنرال كورت زايتسلر
رئيس اركان الجيش الالماني

معركة ستالينغراد

١٩٤٢ ــ ١٩٤٣

ترجمة
النقيب الركن
اسامه محمود المهدي

طبع بموافقة رئاسة اركان الجيش حسب كتاب مديرية التدريب
العسكري المرقم ت / ش٢ / بحوث / ق٢ / ٢١ / ٩٢٣٣٩٨
والمؤرخ ٢٣ / ك١ / ١٩٦٤



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المترجم

اكد الكثير من القادة العسكريين على اهمية دراسة التاريخ العسكري وتقصي اخبار المعارك وقادتها العظام . وقد قال نابليون « ان لدراسة التاريخ العسكري اهمية عظمى واثر كبير فى خلق الكفاءة العسكرية » كما قال فى هذا المضمار ايضاً « لا يمكن تعلم فنون الحرب بغير التجارب ودراسة تاريخ الحرب ومعارك القادة العظام » .

ان دراسة تاريخ المعارك تؤدي الى معرفة النواقص والاخطاء التي حدثت اثناء الحركات الفعلية والى كيفية تلافيها بعمل هيآت الركن والقادة الدقيق والمتقن .

ولدراسة تاريخ حياة ومذكرات القادة البارزين وتحليل اسباب نجاحهم او فشلهم واساليبهم التي اتبعوها لتحقيق ذلك النجاح او النواحي التي ادت بهم الى الفشل اهمية عظيمة للتوصل الى اسس القيادة الناجحة ، ولا غرو ان الدراسة السطحية والناقصة للظروف التي احاطت بالقادة ودفعتهم لاتخاذ قراراتهم لا تفي لمعرفة الاسباب الصحيحة التي ادت الى الفشل او النجاح انما يقتضي ان تكون دراستنا

عميقة وشاملة وسليمة لتلك الظروف وبعيدة عن كل ما يحرفها عن واقعها وحقيقتها .

كذلك تعطينا دراســة التاريخ العسكري الدقيقة الفكرة الصادقة عن الانفعالات النفسية للقائد او الجندي الفرد وكيفية استجابته للمؤثرات الخارجية كالخوف والذعر والقلق النفسي فنأخذ ما يفيد ونترك ما لا يفيد .

لقد كان هتلر زعيم المانيا النازية فى مستوى القائد العسكري والسياسي المستبد الصلب العود ، وقــد تحدث عنه الجنرال كورت زايتسلر رئيس اركان الجيش الالماني بين عام ١٩٤٢ وعام ١٩٤٣ - فى كتابه عن معركة ستالينغراد فاعطانا أمثلة حيـة للنفس البشرية الواقعــة تحت تأثيرات سياسية وعسكرية متشابكة وقدم لنــا مذكرات مفصلة ، بصفته رئيس اركان الجيش الالماني ابان المعركة المذكورة ، عن العوامل الرئيسية التي ادت الى فشــل الالمان فى تلك المعركة الحاسمة والتي تعتبر بحق من المعارك المعدودة التي حولت كفة النصر من المحور الى الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية .

والكتاب لا يتطرق كثيراً عن وجهة نظر الروس الطرف الثاني فى المعركة الا انه يبين بتفصيل واف أثر القائد الاعلى للجيش فى فشل المعركة او نجاحها ومدى تأثير هيئة الركن على القائد العسكري المستبد (الدكتاتور) فى وضع خطة المعركة وتنفيذها وادارتها . ودراسة هذا الكتاب تعين كثيراً على تفهم بعض الحقائق التي ظهرت فى هذه المعركة وتبرز الدروس القيمة الجديرة بالاعتبار .

النقيب الركن

اسامه محمود المهدي

أهداف هتلر

كانت أهداف هتلر الاساسية من تعرض صيف سنة ١٩٤٢ هي احتلال ستالينغراد والقوقاز .

وعند النظر الى هذه الاهداف للوهلة الاولى نرى انها جديرة بالاعجاب الكثير فلو استطاع الجيش الالماني ان يقطع خط مواصلات روسيا الرئيسي الممتد من الشمال الى الجنوب بعبور نهر الفولغا فى منطقة ستالينغراد وان يملك ناصية حقول النفط فى القوقاز وأطرافها ويخضعها للمجهود الحربي الالماني فى الوقت نفسه لتبدل حينئذ الموقف كله فى الشرق ولتأثرت كثيراً نتائج الحرب فى المستقبل .

وهذا ما كان حقاً يدور فى خلد هتلر الذي لم تنته خططه المتطرفة عند هذا الحد فحسب ، بل تجاوز فى نواياه بإرسال ارتال سيارة سريعة عبر القوقاز أو حواليها الى الهند ، وكل هذا جميل ولكن هناك عوامل لابد من مراعاتها .

فالاهداف العسكرية يجب ان تتناسب دائما مع القوات والوسائل الاخرى المتيسرة لتحقيقها ، فمن الوجهة التعبوية البحتة لا يكفي مجرد وصول القوة الى الهدف فقط بل المهم ترصينها عليه ايضاً وما لم يتم ذلك ستعرض

القوات المشتركة نفسها للخطر وتكون الحركات التعرضية مهما كان الهدف مغرياً حاملة جرثومة الفشل منذ البداية ان لم يكن الاندحار نفسه .

كان الهدف الاول ستالينغراد يقع على بعد ثلثمائة ميل تقريباً ما وراء خط الجبهة المتكون فى ربيع سنة ١٩٤٢ ، أما القوقاز فكانت أبعد من ذلك باكثر من ثلثمائة وخمسين ميلا ، كما لم تكن هذه الاهداف قريبة من بعضها والمسافة بينها اكثر من ثلثمائة وخمسين ميلا ، وهذا التباعد فيما بينها يحتم فصل الحركات فى معركتيهما عن بعضهما .

والسؤال الذي يبرز الآن هو هل تتيسر القوات الكافية فى الوقت الحاضر لاحتلال مثل هذين الهدفين البعيدين كثيراً والمتباعدين عن بعضهما ؟ والجواب عن هذا السؤال بسيط وهو النفي . ثم هل من الممكن توفير مثل هذه القوات ؟. لقد عرض هذا السؤال على هتلر من قبل مستشاريه العسكريين الا ان القرار الذي اتخذه هتلر والمقترح عليه من قبل الجنرال يودل كما قيل كان يتضمن طلب فرق جديدة من حلفاء المانيا وبهذا تأليف مجموعة قوات للجبهة الشرقية تتناسب وأهداف هتلر للحملة القادمة ، وكان هذا القرار هو القرار القاتل الاول لتلك السنة .

وقد أدرك القادة والجنود الالمان الذين حاربوا فى الجبهة الشرقية فى عام ١٩٤١ ان قطعات حليفات المانيا كانت غير قادرة على تحمل اهوال الحرب فى ذلك الميدان القاسي زد على ذلك ان القطعات غير الالمانية المشتركة فى الحرب عام ١٩٤١ قد تألفت بالدرجة الاولى من مفارز صغيرة

هي وحدات منتخبـة سبق لها عادة القتال فى صفوف التشكيلات الالمانية غـير أنه فى عام ١٩٤٢ جمع هؤلاء الجنود غير الالمان فى فيالق وحتى جيوش متجانسة من قومية واحدة ليقاتلوا بعيداً عن أوطانهم . ولا شك ان فشل هذه التنظيمات سيعرض كافة جبهتنا الشرقية للخطر. وكان هذا واضحاً الا ان هتلر الذي كان مفتونا بالاعداد لم يكن يرى الا الزيادة العظيمة في عدد الفرق التي ظهرت على خرائط ضباط ركنه. ولقد ادرك حقا سلفى برئاسة اركان الجيش الجنرال هالدر الاخطار المحدقة بهذه الخطة وبينها لهتلر بتكرار وحماس ولكنه اعرض عنها واهملها.

الحركات الاولى

لقد شن التعرض فى نهاية حزيران وشرعت به الفرق الالمانية مكونة رأس رمح الهجوم تعقبها قطعات حليفاتنا فى الخلف وقد اشترك فيه جحفلا جيش - جحفل الجيش (ب) بقيادة المشير فون بوخ ثم المشير فون فايخز فيما بعد فى اليسار وجحفل الجيش (أ) بقيادة المشير لست فى اليمين كما انتقل المقر الاعلى لهتلر ومقر القيادة العليا للجيش فى بروسيا الشرقية واشغلا مواقع فى فينتسا وضواحيها فى اوكرانيا وبدأت الحملة بسلسلة انتصارات فتم فى تموز احتلال كراسنودار على نهر كوبان وفورد شيلوفسك القريبة من سفوح جبال القوقاز واخذنا عدداً كبيراً من الاسرى وارتفع فى نهاية آب العلم الالمـاني يرفرف على قمة البروس اعلى نقطة فى القوقاز كما وصلت مقدمتنا فى الوقت نفسه الى نهر الفولغا بالقرب من ستالينغراد وظهر عندئذ وكأن اهدافنـا الرئيسية قد تم تأمينها ولكن سرعـان مـا تبدد هذا المظهر الخادع وتوقف التقدم ولم يتم اي نجاح جديد فى القوقاز كما بادر الروس بابداء مقاومة مستميتة فى ستالينغراد .

ازمة القيادة العليا

كانت النتيجة الاولى لهذا التوقف فى تقدمنا هي تنحية الفيلد مارشال لست عن قيادته دون ان يعين خلفا له فى قيادة جحفل الجيش (أ) التي بقت تدار وكالة لفترة من الزمن كما نحى فى اواخر ايلول الجنرال هالدر من منصبه ، رآسة اركان الجيش وكنت فى هذا الوقت رئيساً لاركان جحفل جيش وقد استدعيت فجأة الى القيادة العليا دون اخباري عما كان يجري هناك فسافرت بالطائرة وحالما وصلت قابلني هتلر كعادته بخطاب استغرق عدة ساعات دون ان استطيع مقاطعته عبر فيه عن تبرمه الشديد بسير الحوادث فى الجبهة الشرقية وخاصة بما يتعلق بفشل التعرض دون ان يلتفت الى الاسباب الحقيقية لهذا الفشل وهي الاختيار الخاطىء للاهداف وعدم الاهتمام الى حقيقة نقص الوسائل المتيسرة لتأمين الغايات المرجوة وانتهاج التقريع وتوجيه اللوم الى القطعات وقادتها ، وقد اشاد بقساوة غريبة الى ما وصفه بعدم كفاءة الفيلد مارشال لست والجنرال هالدر وقطع خطابه فجأة وانهاه بقوله :

ولهذا قررت تعيينك رئيساً لاركان الجيش متبعاً اسلوبه الاعتيادي كلما أخطأ بتوجيه اللوم الى غيره وتنحيته عن منصبه وتعيين آخر محله ، ولم يكن هتلر يستلخص النتائج الصحيحة بعد فشل خططه ولو فعل ذلك لتمكن على الاقل من تقليل تأثير أخطائه على المستقبل دون ان يستطع تصحيح ما مضى بطبيعة الحال وقد استلمت مهام منصبي كرئيس أركان الجيش وادركت على التو ذلك الجو الغريب السائد فى مقر القيادة العليا

نتيجة لفشل التعرض ولم يكن هذا الجو لضابط مثلى قادم من هيأة ركن حركات عاملة فى الميدان مستهجن فحسب بل وغير قابل التصديق مطلقاً ، فهو مزيج من عدم الثقة والغضب ولم يكن احد يثق بصاحبه كما كان هتلر نفسه فى ريبة من الجميع ، وقد ظهر الكثيرون من الضباط الذين كانوا يعتقدون بانهم من المسخوط عليهم بمظهر اليأس والقنوط ولم يكن لست وهالدر وحدهما موضع حقد هتلر بل ان يودل ايضاً لفه سحابة ، وكان غيض هتلر موجهاً الى جيوش الشرق عامة والى قادتها وقادة جحافل الجيوش هناك على وجه الخصوص . وأخذ هتلر يعيش عيشة انعزالية تلفه شكوكه ولم يعد يصافح جنرالا او يتناول طعامه مع اعضاء مقره وهيئة ركنه الخاصة بل فضل تناول الطعام وحيداً وكان عندما يحضر مؤتمرات هيآت الركن ينحني بفتور ويستمع الى تقارير مستشاريه الايجازية بعبوس شديد ثم ينحنى انحناءة فاترة اخرى أمام الضباط المجتمعين ويغادر الغرفة .

كان هالدر وليست كبشي الفداء لهتلر أثر فشل التعرض وكانت النقمة الوقتية التى لحقت بيودل كما سمعتها فى حينه أكثر تعقيداً نوعاً ما ، فقد كان يودل رئيساً لاركان قيادة القوات المسلحة وهو بذلك أقرب المستشارين العسكريين الى هتلر وكان قد اوفده مبعوثاً شخصياً عنه لشحذ هم القادة والقطعات معاً لاستئناف حالة التعرض ثانية ليتسنى على الاقل عبور جبال القوقاز ولكن عند وصول يودل الى هناك تأيد لديه فى التو بان القطعات منهمكة تماماً وان أي تقدم آخر هو خارج الصدد ، ثم عاد يودل الى مقر القيادة العليا وعبر عن هذا الرأي لتهلر الذي لم يتلقاه برحابة صدر بل صرخ بيودل قائلا ـ الاوامر الصادرة اليك هي حث القادة والقطعات للتقدم الى الامام وليس لتخبرني بان

ذلك مستحيل - وقارن هتلر صراحة تقرير يودل عن الاوضاع الراهنة فى القوقاز بتقرير هنتش الشهير فى الحرب العالمية الاولى (العقيد هنتش مبعوث القيادة الالمانية العليا فى عام ١٩١٣ الذي قدم تقريراً عن الجبهة الغربية بنصوص أدت الى الانسحاب وكان قد وقع اللوم عليه فى اندحار الالمان فى معركة المارن) وعلى ذلك حاقت النقمة بيودل بصورة تامة وأصبح تعيين خلفاً له متوقعاً جداً والمرشح لذلك هو الجنرال باولس قائد الجيش السادس .

فى مثل هذا الجو الذي ساد مقر القيادة العليا كان من المستحيل اجراء أي مناقشة صريحة وموضوعية للموقف وما كان لهذا الوضع الا نتيجة واحدة وهي أن ادارة حركاتنا العسكرية ستعاني الكثير من المتاعب وسيتم العبء على القطعات الباسلة فى الميدان . وهكذا كانت انطباعاتي الاولى عندما توليت مهام منصبي الجديد كرئيس لاركان الجيش وهي غير مطمئنة قطعاً .

الموقف في الجبهة الشرقية

اذا كان الجو فى مقر القيادة سيئاً فان الموقف فى الجبهة الشرقية على العموم لم يكن يبعث على الارتياح مطلقاً ، فجحفلا الجيش الشماليان ، جحفل جيش الشمال بقيادة الفيلد مارشال فون كوخلير وجحفل جيش المركز بقيادة الفيلد مارشال فون كلوك لم يكونا مشتركين بصورة مباشرة فى تعرضنا الصيفي وكان قطاعاهما هادئين نسبياً فى ذلك الوقت ولكن دلائل المستقبل

لاتبشر بخير وذلك ناتج بالدرجة الاولى من عدم تيسر احتياط كبير فى مناطقهما الخلفية كما كانت هناك عدة نقاط خطر كامنه على طول هذا القسم من الجبهة وخاصة بحيرة (لادوكا) شمال شرق لنينغراد وجيب ديمنسك الذي كانت فيه قوة المانية مطوقه تقريبا الا من وجود ممر ضيق واحد لازال مفتوحاً .

اما جحفلا الجيش الاخران المشتركان فى التعرض الصيفي فقدكانت تنتظرهما ازمتان تتبلوران للمستقبل وكانت الازمة الاولى تخص جناح جحفل الجيش (ب) الايسر الطويل الذي كان بقيادة الفيلد مارشال فايخز شمال غرب ستالينغراد وكانت تمسك هذا الجناح فرق غير المانية كلياً وكانت الازمة الثانية ناتجه من وجود الفسحة الكبيرة بين القوقاز وستالينغراد .

بالرغم من استطاعة قطعاتنا السيارة التجول فى هذه المنطقة الشاسعة من الاراضي السهلة الجرداء الا انها لم تستطع ان تبني خطا دفاعياً .

لقد كانت جيوشنا الشرقية فى حالة سيئه دون ذنب اقترفته اذ كانت تقاتل بمهارة وكانت لاتزال سائره على هذا المنوال واعمالها كانت جديرة بالاعجاب اذا ماادركنا انها كانت فى قتال مستمروبدون انقطاع غالبا لما يقارب الثمانية عشر شهراً مع عدو يفوقها عدداً على الاكثر دائما ، مما ادى الى اصابة تجهيزاتهم من جراء ذلك باضرار كبيرة وكانت الجيوش نفسها مجهده ومتعبة والوحدات لم تتلق التعويض الكافى وكانت ناقصة الملاك فى الرجال والسلاح وفى مثل حالتهم هذه طلب منهم القيام بواجب يكاد يكون فوق طاقة البشر حتى فى الضروف الملائمة .

كان هذا هو الموقف فى الجبهة الشرقية فى نهاية ايلول عام ١٩٤٢ ومـن الطبيعي انيكون هتلر على اطلاع تـام دائماً ولكن آثر ان يتجاهل الصعوبات الجمة التي كانت تواجه قطعاتنا الا انه الح فى اصرار على ان يبذل جحفلاالجيش المهاجمان اقصى الجهود الممكنة لمواصلة تقدمهمابالرغم من كونهما كانا منهوكي القوى وقد كان مصمماً على احتلال بقية ستالينغراد وحقول نفط القوقاز والقوقاز نفسـها ولما كان التعرض قد توقف فى كافة النقاط فقد قرر هتلر ان يتحرك التعرض ثانية على شكل هجمات بمقياس صغير ففي ستالنغراد أمر بالقيام بسلسـلة من هجمات قطعات الصاعقة لغرض احتلال المدينة مجموعة فمجموعة وحتى بناية بعـد بناية وكذلك فى القوقاز اوعز القيام بهجمات تعبويـة الواحدة تلو الاخرى وفى الحقيقة انه كان يرغب ان يستمر التعرض بصورة مصغرة وباي ثمن .

وبصفتي رئيساً لاركان الجيش قدمت خلال الاسابيع الاولى من تولي منصبي بدراسـة كاملة للموقف فى الجبهة الشرقية ولحالة قطعاتنا والقوات المتيسـرة للعدو ثم طلبت من هتلر ان يسـمح لي بان اقدم تقريراً مطولاً مفصلاً وسرياً للغاية فوافق على ذلك .

تقريري عن الموقف

ابتدأت تقريري بوصـف دقيق وموضوعي عن الموقففى الجبهه الشـرقية كما ينظر باعين المانية وتلاه وصف مشابه من وجهة نظر العدو واعتمد هذا الاخير على الاعمال الدقيقة المفصلة لقسـم الاستخبارات القيادة العليا للجيش

المسمى (جيوش اجنبية ـ شرق).

وتناول القسم الثاني من تقريري بحث الاستنتاجات التى يجب استحصالها من الموقف الالماني والروسي على التوالى مع التطورات اللاحقة التي يجب توقعها خلال الاسابيع او الاشهر القليلة القادمة وانهيت تقريري بخمسة فروض معينة .

كان القسم الاول من تقريري معبراً عنه بتعابير يمكن ادراكها من قبل غير الخبير كما كان مسندا بالكثير من الاحصائيات والمخططات البيانية والخرائط ، فمثلا اعطيت خسائر الالمان وحلفائهم من الجنود والاسلحة الثقيلة ومدافع مقاومه الدبابات وقطع المدفعية . . . الخ باعداد مضبوطة للميل الواحد فى مختلف قطاعات الجبهة مع مايقابلها من الارقام من القوات الروسية المشتركة وهذا ما اظهر تفوق العدو العددي باسلوب مؤثر واخاذ حقا كما واسندت هذه الصورة باحصائيات تخص احتياطات الروس من القدرة البشرية والتجهيزات والاسلحة والعتاد وارقام الانتاج الشهري لذخائر العدو الحربية ومعامل دباباته والسيل المتدفق من المساعدات العسكرية الواردة اليه من الولايات المتحدة .

كانت مثل هذه المعلومات ضرورية لمن يريد ان يكون حكما صادقا عن قوته وقوة عدوه وبذلك يتمكن من تقـــدير التطورات المحتملة فى المستقبل القريب ، وبصفتي رئيسا لاركان الجيش نجحت فى جعل هذه الحقائق واضحة بدون جدل ويعتبر هذا بحد ذاته فوزا عند اخذ طبيعة هتلر بنظر الاعتبار ، هذا بالاضافة الى انها المرة الاولى التى لم يقاطعني فيها هتلر كما كانت عادته

عندما لم تسره الحقائق التى سردتها له او كما يسميها بالاندحار وهو ينهي اعتياديا مثل هذا التقرير الواقعي بالايعاز للمتكلم بالتوقف اوانه ينهيه بثورة عارمة من الغضب وعلى كل حال فقد كان هتلر مغرماً بالارقام والاحصائيات ولا شك فى ان العدد الكبير الذي قدمته منها لاسناد مناقشاتي لابد وان اثرعليه كما فعلت مخططاتي السهلة الادراك من قبل او لربما لم يرد هتلر ان يغضب الرجل الجديد فى مرحلة مبكرة من علاقتنا ، ومهما يكن الامر فقــد كنت مقتنعا بانني ابتدأت عملي كرئيس لاركان الجيش بان اخبرت هتلر بالحقيقة واضحة وغير مطلية .

الى هنا وسار كل شيء كما يرام ولكن جاء الان اصعب قسم من تقريري وهو الطلبات الخمسة او الفروض التى نجمت من تقرير رئاسة اركان الجيش هذا والتى وضعتها كما يلي :

١ــ نتيجة للتعرض الصيفي اصبح الاقاليم المفروض احتلاله فى الشرق لايتناسب وحجم الجيش القائم باحتلاله او بعبارة اخرى فقد كان لدينا جنود قليلون لاراضي كثيرة ومالم يجري تعديل هــذا الوضع فلا مناص من وقوع كارثة .

٢ــ لقد كان اخطر قطاع فى الجهة الشرقية من دون شك هو الجناح الطويل الممسوك بقطعات قليلة والممتد من ستالينغراد حتى الحدود اليمنى لجحفل المركز وبالاضــافة الى ذلك فان هذا القطاع كان ممسوكا من قبل قطعاتنا الضعيفة والتى لايعتمد عليها كثيرا ومن الرومانين والايطاليين والهنغاريين وقد كونت هذه الحالة خطراً عظيما يقتضي استئصاله .

٣ ــ ان تدفق الرجال والتجهيزات والاسلحة والعتاد الى الجبهة الشرقية كان غير كاف تماما ولقد زادت الخسائر على التعويضات فى كل شهر ولابد ان تكون لهذا نتائج خطيرة .

٤ ــ لقد كان الروس احسن تدريبا واحسن قيادة فى سنة ١٩٤٢ عما كانوا عليه فى سنة ١٩٤١ ، وجب ان تدرك هذه الحقيقة وتؤخذ بنظر الاعتبار كما اصبح الحذر الشديد من جانبنا ضروريا .

٥ ــ اما المطلب الخامس فقد كان مفصلا ويخص الاستخدام الاحسن للقطعات والاستفادة الاكثر مهارة للسكك الحديدية لتؤمن قابلية حركة اوسع كما كان يخص امورا فنية اخرى بوجه عام .

من الغريب ان هتلر استمع الى هــذه الاستنتاجات والطلبات دون ان يثور وفى الحقيقة فقد بدا وكانه قد تاثر بها وعندما انهيت تقريري ابتسم وقال انك متشائم جدا ، لقد مررنا هنا فى الجبهة الشرقية بفترات اسوء من هذه قبل ان تلتحق بنا ومع ذلك فقد عشنا ، وسوف نتغلب على صعوباتنا الحاضرة ايضا اما بالنسبة للاستنتاجات النهائية فقد بذل جهده للتقليل من شأنها باسلوب تقليدي فلقد قال مثلا من الطبيعي ان الجنود الالمان يجابهون فى بعض نقاط الجبهة جنوداً اكثر منهم عدداً ولكنهم متفوقون كثيراً على العدو بالنوعية كما ان اسلحتنـا احسن ايضاً وفى المستقبل القريب ستكون لدينا أسلحة جديدة ستكون احسن مما هي عليه الان بكثير وهكذا صرف هتلر النظر عن تقريري واعتبر الطلبات التي قدمتها قد تمت تسويتها ،

تمنيت بصفتي رئيساً لاركان الجيش لو ان قسما مما قلته يرسخ فى عقله او

انه يمعن النظر فى بعض ملحوظاتي وان ينتج تقريري بعـــد كل هـذا بعض الثمر ،

وكنت قد تعلمت قبل الان بـانه لغرض الحصول على موافقة هتلر على نقطة ماكان على من الضروري اعادتها عليه مرة بعد اخرى وقد قمت بهـذا خلال الاسابيع التى تلت معيداً بصورة خاصة طلباتي الخمسة . ولكن ترى ماذا تم فى الواقع عمله خلال الاسابيع التى تبقت لنـا قبل هجوم الروس المقابل الكبير ؟

الاستحضارات الالمانية

لقد تركت نقاطي الخمسة لدى هتلر اثرا اكبر مما كنت أتوقعهواكثر مما كان يسمح به هو نفسه وخاصة وانه أصبح الان عالما بالخطر الناجم بسبب الجناح الطويل بين ستالينغراد وجحفل جيش المركز وكان هذا دليل على انه كان بامكانمستشاري هتلر التاثير عيه حول نقطة يريدونها اذاماكررت باستمرار كاف وتمسك المستشار باصرار بفكرته الاصلية ، وباتبـــاعي لهذا النهج نجحت فى جعل هتلر عالما بالخطر الذي يهدد الجناح الايسر بجحفل الجيش (ب) ولطالما اصبح عالمـــا بالخطر فان هناك ثلاث مناهج ممكنه لمعالجة الموقف .

المنهج الاول الذي قد يكون هو المنهج الاساس والاكثر تاثيرا هو سحب جبهه ستالينغراد الى الغرب وبذلك تقصير الجناح وحتى ابعاد الخطر عنه وتحرير عدة فرق يمكن استخدامها فى محلات أخرى ونكون بذلك قد كونا جبهة جديدة قوية وفى الوقت نفسه نكون قد اوجدنا الاحتياط اللازم على شكل كتلة لها قابلية المناورة توضع خلف الجبهة وكانت مزايا هذا الحل الذي كان أحسن الحلول الممكنة بدون شك واضحة للجميع ولكنه يجر الى التخلى عن ستالينغراد أي التخلى عن المكسب الرئيسي لتعرضنا الصيفي او بتعبير آخر انه يعني تقويم متأخر لاخطاء القيادة العليا الاولية عند تخطيطها ذلك التعرض

لن يحظ هذا الحل قبولا لدى هتلر كليا والواقع ان هتلر سيفقدصوابه حتى لو أشير لمثل هذا المشروع بحضوره اذ انه من حيث المبدأ أو بصرف

لنظر عن الظروف السائدة فانه يرفض دائما السماح بالتخلى عن أي اقليم مهما كانت الاسباب وكان هذا المبدأ ان صح تسميته كذلك قد تعزز بشده فى موضوع ستالينغراد فى الخطاب الذي القاه هتلر على الشعب الالماني فى تشرين الاول من تلك السنة حيث قال [يبقى الجندي الالماني حيث هو فى أي موضع يضع قدمه فيه] ويمكنكم أن تطمئنوا بانه لن يستطيع احد طردنا من ستالينغراد ولقد زادت هذه التفوهات من عناده الذاتي واصبح عنده الاحتفاظ بستالينغراد مسألة كرامة شخصية وعلى ذلك لم يكن فى الامكان تبديل رأيه .

اما المنهج الثاني فى معالجة الموقف فلم يكن فى الحقيقة الا تحويراً للمنهج الاول اذ انه يعنى الاحتفاظ بمركزنا فى ستالينغراد فى ذلك الوقت واعداد الاستحضارات اللازمة للانسحاب فى موعد متأخر جدا قبل الهجوم الروسي المقابل مباشرة ، كان هذا الحل حلا وسطا ويحتوي على كافة محاذير الحلول الوسط وكانت نقطة الضعف الكبيرة فيه هي هل يسمح المناخ الروسي القيام بمثل هذا الانسحاب عند حلول اللحظة الحاسمة ؟ لقد جعل هذا التساؤل الحل التالى خطرا ، وعلى أي حال رفض هتلر قبوله أو اعطاء أي اوامر بخصوصه ولكن الانطباع الذي أبداه هو عدم ممانعته له وذلك لسبب بسيط هو انه وفر لنفسه مجالا للمماطلة والتسويف .

لم يكن هتلر يعطي قرارا مخالف ان كان يستطيع تأجيله بطريقه ماالى وقت اخر وكان يشيد بتردده التقليدي ويشير اليه بانه [سياسة ترك الموقف يتبلور] .

والمنهج الثالث فى معالجة الازمة المتوقعة كان ينطوي على سحب الجيوش غير الالمانية التى لايعتمد عليها والتى تمسك الان التماطع المهدد وتبديلهابفرق المانية جيدة وحسنة التجهيز ومسنده باحتياط كاف ولاتخاذ هذا الحل كانت القيادة العليا الالمانية تفتقر تماما الى الاحتياط الضروري فى القطعات والتجهيزات كذلك لاجل استبدال الهنغاريين وغيرهم بالالمان كان من الضروري أخذ الاخيرين من القواطع الاخرى من الجبهة الشرقية وكان تنقل القطعات الجانبي من الصعوبة بمكان فى كافة الاوقات ومما يزيد فى الطين بله سوء المواصلات الروسية كثيرا وكان هناك خطر حقيقي عظيم هو قيام الروس بتعرضهم المقابل المتوقع الان وضربهم الجناح المهدد فى نفس الوقت الذي تجري فيه التغييرات وعلى ذلك صرف النظر عن هذا الحل ايضا .

وهكذا لم ينتخب أي حل من الحلول الرئيسية الثلاث للمشكلة فاهمل اثنان نظراً لعناد هتلر واهمل الثالث بسبب الظروف السائدة ولم يبق الا مايمكن وصفه بالوسائل الثانوية وكانت هيئة الاركان العامة تعلم جيدا بان هذه الوسائل لايمكن أن تؤثر على الموقف بصورة جوهرية وفى الواقع كان النقاش يدور حول وجود أي جدوى على الاطلاق من تلك الوسائل ومع ذلك فما كان علينا الا أن نبذل مافى وسعنا حتى ولو لكسب الوقت لحين هجوم العدو وبذلك تسهيل القيام نهائيا بتطبيق المنهج الثاني الرئيسي ولربما عندما يكون الخطر حقيقيا وليس مجرد افتراض كما هو الان قد يدرك هتلر الحقيقة ويامر باتخاذ هذا الحل الرئيسي .

وكان من جملة هذه الوسائل الثانوية التى استخدمت أنئذ مايلي :

١ ـــ تم ايجاد احتياط صغير خلف الجناح المهدد تالف من فيلق الصاعقة المكون من فرقتين مدرعتين احداهما المانية والاخرى رومانية وكان هذا الفيلق ضعيفا جدا من كافة الوجوه .

٢ ـــ تم توزيع وحدات المانية صغيرة كافواج مقاومة الدبابات من احتياط القيادة العليا للقوات المسلحة بين الفرق غير الالمانية لاسناد الجبهة المهددة وكان المؤمل من تعبئة الاسناد هذه تقوية الفرق غير الالمانية وتشجيعها ومساعدتها على المقاومة كما كان من واجب وحدات المساندة فى حالة اندحار الوحدات غير الالمانية الثبات بشدة ومنع اختراق العدو واندفاعه وبالصمود بهذه الطريقة فانها سوف تؤمن ظروفا ملائمة لهجومنا المقابل .

كانت هذه خطة مدروسة جيدا انما كانت محاذيرها واضحه اذ لو انهارت القطعات الحليفة الموجودة بين وحدات المساندة بصورة سريعة جدا أو بصورة كلية أو عند عدم تيسر القطعات الكافية لهجومنا المقابل فى الوقت المطلوب فان وحدات المساندة عندئذ ستجد نفسها فى وضع حرج وتكون بالتالى فى عداد الخسائر كليا وعلى ذلك كانت تعبئة المساندة هذه ذات قيمة مشكوك فيها كثيرا .

٣ ـــ الحقت جماعات ارتباط تضم ضباط ركن المان ووحدات مخابرة المانية الى هيآت الركن العليا للتشكيلات الحليفة والتى كانت تفتقر الى خبرة وضبط مايماثلها من المقرات الالمانية فى الوقت الذي كانت سبل قيادتها وأساليب مخابرتها رديئة وبطيئة وكان من المؤمل أن تعوض عن ذلك جماعات الارتباط الحديدة .

٤—استعمل الخداع اللاسلكي بنطاق واسع لغرض ايهام العدو عن حقيقة عدم وجود قطعات المانية على طول الجناح المهدد ولاعطاء صورة زائفة عن قواتنا فى هذا القاطع .

لم تكن هذه الا بعض التدابير التى اتخذت آنئذ والتى تطلبت الى الكثير من عمل الركن المعقد وعناية كبيرة بالتفاصيل والى قوى تنظيمية جبارة ومع ذلك كان الاخصائيون مدركين جيداً ان هــذه التدابير غير وافية الا انها للاسباب التى سبق وبينتها آنفا نفذت بالكفاءة الممكنة ومع ذلك فان القيام بهذه التدابير انطوى بحد ذاته على خطر اقتناع هتلر بان جميع التدابير اللازمة قد اتخذت الامر الذي يجعله كثير الثقة بحسن الموقف ولهذا كان من الضروري الفات نظره مرة بعد اخرى الى خطورة الموقف والى النقاط الخمسة التى بينتها أعلاه والى وجود حلين صائبين فقط وقــد قمنا بذلك رغم انفجارات غضبه العنيف لان ذلك ما يحتمه الواجب .

اما بصدد النقاط ١و٣و٤و٥ التى انهيت بها تحريري والتى كنت أشير اليها بتكرار فقد قبلها هتلر أخيراً وأخذ يعمل بموجبها ولكن كان هتلر اسوء الحظ مقتنعا بوجــه عام بالتدابير الوقتية والحلول الوسط التى غالبا ماجاءت متأخرة .

وكان التدبير الممكن اتخاذه والذي اتخذ فعلا هو تأسيس جهاز استطلاع دائم مع مواصلات المخابرة اللازمة لستر الجناح المهدد واقتضى ذلك تنسيق متين لجهود الاقسام المختصة من رئاسة اركان الجيش ورئاسة أركان القوة الجوية ومن وحدات الاستخبارات العاملة مع مقر جحفل الجيش

(ب) ولقد شاركنا قائد جحفل الجيش ورئيس ركنه الموثوق به مخاوفنا والتى

أوضحت لهتلر بتقاريرهم عن الموقف وتخميناتهم لنوايا العدو كما أيدت ذلك تدابيرنا الاستطلاعية المختلفة فى حينه هذا وقد أخذ العدو يعزز قواته بخطى وئيدة وبعزم ثابت أمام الجناح المعرض للخطر بصورة لاتقبل الجدل كما كشف استنطاق الاسرى والهاربين عن وجود فرق روسية من الدرجة الاولى فى هذا القاطع ومن ذلك نستلخص النتيجة الوحيدة وهي ان الهجوم أصبح وشيكا .

تقدير نوايا الروس

يتراءى الان ان القيادة الروسية العليا نهجت فى تفكيرها على غرار مافكرت فيه رئاسة أركان الجيش الالمانية بقرارها ابتداء تعرض الروس الشتوي بالهجوم على الجناح الايسر لجحفل الجيش (ب) الذي لو نجح لعاد عليهم بفوائد كبيرة اذ لم تنطل عليهم تدابير الخداع التى اتخذناها كما كانوا على علم تام بان هذا القاطع كان مشغولا من قبل قطعات غير المانية هي فى تقديرهم أقل صلابة فى الدفاع من القطعات الالمانية .

ولم يتسن لنا التثبت تماما بعد عن النقطة التى سيوجه الروس هجومهم عليها على طول الجناح العميق ، أهي القاطع الذي يشغله الرومانيون والقريب من ستالينغراد أم القاطع الايطالى بعيداً الى الغرب أم ذلك الذي يشغله الهنغاريون الاكثر بعداً الى الغرب ؟

ان من وجهة النظر التعبوية البحتة يكون توجيه الحركات نحو أقصى الغرب من الجناح هو خير اختيار ولكنه ينطوي على قرار جريء كانت القيادة الروسية تحجم عن القيام بمثل هذه المجازفة الخطيرة والظاهر انهم

كانوا يرجعون خطة أكثر حذراً لاتزجهم فى ميدان بعيد كثيراً .

وفى خلال النصف الاول من شهر تشرين الثاني أي فى الوقت الذي انتقل المقر الاعلى لهتلر ومقر القيادة العليا للجيش الالماني الى الخلف من فينتسا الى بروسيا الشرقية أصبحت صورة التعرض الروسي واضحة كثيراً وانهم سوف يهجمون على شمال غرب ستالينغراد واحتمالا على القاطع الذي يشغله الرومانيون الا انه مما تعذر علينا معرفته بعد هو موعد شن الهجوم .

قبل الهجوم

رغم ان هتلر رفض مراراً قبول أي حل من الحلول الرئيسية الا انه سمح بتنفيذ وسائلنا الوقتية لتقوية الجبهة المهددة لكنه لا زال حتى الآن غير متخل عن خططه التعرضية لاحتلال ستالينغراد وقد أوعز بحدة أن يستمر القتال فى المدينة من بيت لبيت وبنتيجة ذلك تكبد جحفل الجيش السادس خسائر جديدة دون جدوى وفى الحقيقة فان آخر القوات الاحتياطية المتيسرة للقيادة العليا للقوات المسلحة وهي أفواج هندسة الحملة من الدرجه الاولى قد سفرت جواً الى ستالينغراد لغرض احتلال المنطقة المستحكمة بتطبيق تعبئة الصاعقة الجديدة ولكن هذه الافواج أبيدت برمتها وفى الوقت نفسه أصبح التهديد المتزايد شمالى غرب ستالينغراد واضحا اكثر فاكثر .

وفى أوائل تشرين الثاني القى هتلر خطابا سياسيا قال فيه [لقد رغبت أن أصل الى الفولغا فى نقطة معينة بالقرب من مدينة معينة وهذه المدينة تحمل اسم ستالين نفسه . . . ولقد رغبت أن أحتل تلك المدينة . . . نحن لانبالغ فى ادعاءاتنا وأستطيع أن أقول لكم الان اننا قد احتللناها ، ولم تبق الا أجزاء

صغيرة فقط خارج أيدينا ، وقـــد يسأل البعض « لماذا لايتقدم الجيش بأسرع من تقدمه الحالى ؟ » ولكني أجيب بأني لا أريد أن أرى فيردون ثانية أنى أفضل أن أصل الى أهدافى بهجمات محدودة . . والوقت ليس بذي أهمية]

كان هذا خطاباً غريباً : وقد تكلم هتلر بصفتين احداهما كقائد أعلى والاخرى كمحمس حزبي وقد برز خطر جسيم الان اذ طالما أعلن هتلر نواياه الى المانيا والعالم اجمع فانه سيرفض تحويرها حتما لان تحقيقها اصبح امراً يتعلق بكرامته الشخصية والمعلوم ان المستبدين يكونون صعبي المراس فى كل ما يمس كرامتهم الشخصية وبالاضافة الى ذلك فان هتلر كان سياسيا وليس عسكريا وهو باعلانه نواياه بهذا الاسلوب اراد ان يحدد نهائيا الاهداف لتمادته وقطعاته وذلك لتقوية عزمهم وعزيمتهم ، واعتقد هتلر انه بمجرد تكلمه فانهم سيصمدون بشدة وفاتة ان يدرك وقع كلماته فى اذان الضباط الكبار والصغار والجنود الذين كانوا يقاتلون بمرارة ويموتون فى ستالينغراد وحواليها كما لم يفهم مدى تأثيرها على رئاسة اركان الجيش ورئيسها وفى الواقع لم تؤخـــذ استشارتي قبـــل القاء الخطاب وقد علمت بمضمونه لاول مرة عنـــد سماعه مـــن الراديو .

لقد عرضت خلال الاسابيع الاولى من شهر تشرين الثاني مطاليبي الاساسية على هتلر مراراً واخذت صورة الموقف المقدم من قبل جهاز استطلاعنا تتكامل يوماً بعد يوم وقد عملنا بتعاون تام مع القوة الجوية وهوجمت تحشدات القطعات الروسية ولم يبق لدينا رغم كل ذلك الا امل واحد وهو امكان اقناع هتلر بقبول الحل الرئيسي أخيراً وكانت خطتى ترمى لارضاخه بالحاح بتكرار واقع الحال .

وكان يشاركنى فى الوقت نفسه فى مخاوفى كافة ضباط رئاسة اركان الجيش من

كبار رؤساء الشعب الى اصغر رئيس لاقصى حـد وكنا ننتظر الهجوم الروسي بقلق بالغ وكنا نعلم انـــه اصبح وشيك الوقوع وانه اذا مانجح اوقع جيش ستالينغراد برمته فى مأزق حرج ، وانه لمريع حقاً ان نتوقع حدوث كارثة وان لانستطيع الحيلولة دون وقوعها وان نرى العلاج الوحيد لها يهمل ويرفض من قبل الرجل الوحيد صاحب الحول والطول الا وهو هتلر .

وفى مقر جحفل الجيش(ب)قدر الموقف كل من القائد العام ورئيس ركنه على غرار ماقدرته انا تماما وهما يتفقان معي فى الرأي بأن الحل الرئيسي وحده هو الذي يمكننا الان من تجنب وقوع الكارثة المحدقة بنا هذا وقد دب اليأس اليهما ايضاً لعدم استطاعتهما التأثير فى تغيير مجرى الحوادث وجل ما كان باستطاعتهما هو الفات نظر هتلر الى حقيقة الاوضاع الراهنة بتقاريرهما وتقديراتهما للموقف وقد ركزا اهتمامها على القاطع المهدد ليتبينا اللحظة الحرجة فى اقرب وقت ممكن .

ولقد جرت بطبيعة الحال عدة محاولات لتدمير ارتال العدو وتحشدات قطعاته بالهجمات الجوية وبقصف المدفعية البعيدة المدى ولم يكن المؤمل ان يؤدي هذا كما هو الحال دائما الى اكثر مـــن تأجيل الموعد المحدد للهجوم اذ ان منع وقوع مثل هـذا الهجوم كلياً لايتم الا بتأمين التفوق الجـــوي الكامل لامكان ابقاء سكك حديد العدو وطرقه ومناطق تجمعه تحت رحمة الهجمات المستمرة من قبل القوة الجوية الفعالة كثيراً ، امـا نحن فلم نكن نملك مثـل هذا التفوق الجوي او القوة الجوية بالحجم المطلوب .

هكذا كان الموقف عندما اطل علينا الشتاء الروسي بكل قساوته وكنـا نعلم فى هذا الوقت ان الهجوم الروسي سوف لايتأخر طويلا .

ــ بدء التعرض الروسي ــ

تلقت فى الصباح الباكر من يوم ١٩/تشرين الثاني /١٩٤٢ القيادة العليا للجيش الموجودة آنئذ فى بروسيا الشرقية البرقية التالية :

« وقع قصف مدفعية شديد جداً على طول الجبهة الرومانية شمال غرب ستالينغراد » وقد اوصل هذا النبأ الينا احد ضباط ارتباط رآسة اركان الجيش عن طريق جحفل الجيش (ب) بدون تأخير . وهكذا علمنا بان الهجوم قد بدء ونحن نعرف بانه سوف يتطور حتماً الى ما توقعناه وكما سبق واخبرنا هتلر بذلك مراراً ، ولم يبق الا ان نرى ما اذا كان تقديرنا لقوة الروس صحيحاً ام لا .

ارسلت البرقية التالية الي جحفل الجيش (ب)

« يتهيأ الفيلق المدرع « ه » للعمل حالا ، سبق ان قدم الطلب لهتلر لفك ارتباطه من الاحتياط . »

لقد كان هتلر قد امر بعدم استخدام هذا الفيلق الوحيد فى الاحتياط الا بموافقتة الشخصية ، ولهذا فحالما سمعت بنبأ السد الناري الروسي وافترضت بان الموقف سوف يتطور كما هو متوقع طلبت استخدام هذا الفيلق مع ادراكي ان لاضرر من ذلك فيما لو سارت الامور على غير ماتوقعناه .

لم يكن هتلر فى بروسيا الشرقية فى ذلك الوقت بل كان مسافراً الى ميونيخ او بربخستكادن فى قطار القيادة الخاص وبصحبته هيئة ركنه الخاصة التي كانت تضم الفيلد مارشال كايتل والجنرال يودل . وقد اتصلت بهتلر تلفونياً واخبرته بالانباء وبصعوبة كبيرة اقنعته بفك ارتباط الفيلق المدرع (ه) من احتياط

القيادة العليا المنوات المساحة واعطائه الى جحفل الجيش (ب) الا انـــه كان يميل لارجاء هذا القرار حتى فى مثل هذا الوقت وانتظار ورود تقارير اخرى عن الجبهة وقـد تطلب الامر مجهودا عظيما لا قناعه بان ذلك قـــد يكون بعد فوات الاوان ، وقد اعتبرت نجاحي فى فك ارتباط الفيلق المدرع من الاحتياط موفقية شخصية ابتهج لها جحفل الجيش (ب) ايضا .

وقد اشتد فى هذا الوقت القصف الروسي لمواضع الرومانيين بدرجة كثيفة جداً وبعد ذلك هجم الجيش الاحمر تحت ستر زوبعة ثلجية شديدة وبدرجة حرارة ٢٠ مئوية تحت الصفر وبتقدم عدد من الدبابات الى مواضع الرومانيين كان يركب عليها المشاة او يجتيزون قريباً خلفها وكان للروس فائقية عددية فى كل مكان ، وقـــد اصبحت الجبهة الرومانية على التى تقريباً مسرحاً للفوضى والارتباك الشاملين .

اخذ جحفل الجيش (ب) يتسلم سيلا من التقارير المتناقضة غالباً والتى يجري ايصالها الى القيادة العليا تباعاً ولقد اعطت هذه التقارير صورة عامة عن هلع الهزيمة الذي اصاب الرومانيين ، وعن ظهور الدبابات الروسية عميقا فى مؤخرتنا ، كما وصفت تقارير اخرى المقاومة البطولية وتحطيم العدد الكبير من دبابات الجيش الاحمر ، واخيراً انجلى الموقف واتضح بان الروس قد اخترقوا الجبهة الرومانيـة فى نقطتين واحتدم القتال فيما بين هاتين النقطتين وفى الجناح الايسر ، استمرت القطعات الرومانية ووحدات المساندة الالمانية تقاتل بشجاعة فائقة ضد قوات العدو المتفوقة ، وحالما ادرك جحفل الجيش ماحدث زج بالفيلق المـــدرع (هـ) للقيام بالهجوم المقابـــل ضد الوحدات الروسية التي قامت بالاختراق الاكبر .

لقد اطلعت هتلر باستمرار على تطورات الموقف فى الجبهة تلفونيا وبينت له مراراً ان الوقت قد حان الان لتنفيذ الحل الرئيسي وهو الانسحاب من ستالينغر والا فعلى الاقل اجراء التحضيرات الضرورية لتنفيذ هذه الخطة فى المستقبل القريب فاغضب هذا هتلر وظل كعادته يتمسك بكل بارقة امل وقال « يجب علينا ان ننتظر لنرى مدى تأثير اشتراك الفياق المدرع (هـ) على سير المعركة » ولما قلت له ان اكثر ما يمكن ان نتوقعه من هذا الفيلق هو ابطاء اختراق الروس وليس ايقاف تقدمهم صرف النظر عـــن التقرير ببساطة على اعتباره تشاؤم فى غير محله .

وفي هذا الوقت استمر الموقف يزداد سوءاً اذ استطاع الروس توسيع ثغرتي اختراقهم واندفعت دباباتهم بعمق اكثر الى الخلف وهاجمت الدروع الروسية المتقدمة الفياق المدرع (هـ) نفسه فى الوقت الذي كان يتأهب للجهوم كما عرقلت حركاتـه جموع الرومانيين الهاربين وحالة الجو القاسية وبذا تضاءل امل نجاح الهجوم المقابـل بسرعة بينما وجدت تـــلك القواطع فى الجبهة الرئيسية الـتي ظلت صامـــدة فى مواقعها نفسها فى حالة خطر متزايـــد وبذلك تحرجت الازمـــة كثيراً .

وكان من وجهة نظر جحفل االجيش (ب) والقيادة العليا للجيش ان الحـــالة سائرة لما هو اسوء حتماً فقد كنا على يقين ان الفياق المدرع (هـ) غير قادرة على تأمين استقرار الموقف وانه فى الحقيقة قد وقع فى دوامة الارتباك العـــام ، وبضياعه سيضيع منا تشكيل الاحتياط الاول والاخير .

وقد تراءت لنا فى القيادة العليا للجيش صورة المستقبل معتمة حقا ، لقد بذلت جهدي لشرح ذلك لهتلر واقترحت عليه مرة اخرى الامر بانسحاب الجيش السادس

لانه الوسيلة الوحيدة لتجنب الكارثة الكبرى اذ ما كان على هذا الجيش الا الاستدارة الى الخلف وحماية مؤخرته الجديدة بقتال الساقات والهجوم على الروس الذين اخترقوا الجبهة الرومانية وبذلك يتسنى تكوين جبهة ثابته بعيداً الى الغرب .

وهذا العمل سوف لا يجنب الجيش السادس التهديد بالخطر فقط بل قد يضع الارتال الروسية فى موقف حرج ، كما انه من الممكن لنا فى مثل هذه الحركات ان نتوقع اكتساب بعض الانتصارات المحلية على الاقل ، اما اذا لم نقم بهذا العمل فلا مناص من وقوع الكارثة حتماً وسوف يعزل الجيش السادس ويطوق وتحدث ثغرة واســـعة فى جبهة جحفل الجيش (ب) حيث لا تتيسر قطعات جديدة لاعادة التماس مع الجيش السادس او لسد الثغرة ، وتأخير كل يوم سيزيد كثيراً فى صعوبة انقاذ الموقف وتفادي وقوع الكارثة الداهمة .،

رفض هتلر هـذا الحل الجرىء الكبير وبالرغم من كل طلباتي بالتلفون وبالرغم من ايضاحاتي المتكررة عن الموقف وما سيتطور اليه بقى هتلر متصلبا عنيداً ولكنه ما لبث ان اوعز باستداره قطار قيادته الخاص والعودة من بافاريا الى مقر قيادته فى بروسيا الشرقية .

- خطة هتلر ويودل -

قبل ان يصل قطار القيادة الى - واستنبرغ - كامنى الجنرال يودل تلفونيا، ولم اكن اتوقع هذ المكالمة اذ لم يكن هناك ما يربطني به كثيراً فميادين القتال التي كانت هيأة ركنه مشغولة بها هي الميادين الجنوبية والغربية، اما الجبهة الشرقية فكانت من مسئولية القيادة العليا للجيش ورئيس اركان الجيش ، ولقد احجم

يودل بحضوري عن الأقل عن ابداء النصح لهتلر فى المواضيع اتي تتعلق بالجبهة الشرقية وقصر فعالياته فى الامور المخصصة له اي الميادين اخرى [كانت تعرف بميادين القيادة العليا للقوات المسلحة] ولادارة الحرب العامـة وللامـور الخاصة بالسياسة الحربية .

وعلى كل فا ظاهر الان ان الجنرال يودل والمارشال كايتل وجدا الفرصة المناسبة فى قطـار القيادة وفى غياب رئيس ركان الجيش ان يقدما المشورة لهتلر حول المعركة الدائرة فى الشرق او لربما طلب هتلر المشورة منهما وعلى اي حال فانهما قدماها له وسرعان ما انكشفت ما هية تلك المشورة ، فقد قال لي الجنرال يودل بالتلفون بأن على القيادة العليا للجيش النظر فى امكان جلب فرقـة مدرعة واحدة من جحفل الجيش (أ) فى القوقاز لتؤلف احتياطاً خلف الجبهة المهددة من جحفل الجيش (ب) .

هكذا كان الحل المقترح للازمة كما وضع فى قطار القيادة الخاص لهتلر رغم ان نقل هذه الفرقة الواحدة الى المنطقة الخطرة يستغرق وقتا طويلا حتماً ، ولا داع هنا للسؤال عما ذا سيكون عليه الموقف عند وصول هذه الفرقة اخيراً ، لقد اصابتني الدهشة من ذلك فطلبت ان اتكلم مع هتلر شخصياً وطلبت منه مرة اخرى السماح باصدار الامر بانسحاب الجيش السادس فأجابني بنبرة باردة كالثلج بقوله [لقد وجدنا وسيلة اخرى سيخبرك عنها يودل وسوف تتكلم عنها غـداً] وكان هذا كل شيء ، ثم اخبرت فيما بعد بصورة رسمية ان هتلر يود مقابلتي فى ظهر اليوم التالى لمناقشة الموقف فاجبت ان ذلك سيكون متأخراً جداً واخبرت عند ذلك ان ليس بالامكان مقابلة هتلر قبل ذلك لانه متعب من رحلته الطويلة ومن الجدير ان أبين هنا بوضوح ان هذا حدث فى الوقت الذي كانت

الجبهة تلتهب ومئات من الجنود البواسل يموتون فى كل ساعة تمر ، تجاهلت هذه التعليمات وكنت فى منتصف الليل فى الوقت المتوقع لوصول قطار هتلر انتظره فى مقره الاعلى والحت على مقابلتي له فى الحال لاهمية الوقت الحيوية الان ولان التأخير لساعات قلائل يؤدي الى تهديد نجاح الحركات التى يجب القرار عليها حالا ، غضب هتلر وحاشيته كثيراً لظهوري هناك فى منتصف الليل بدلا من الانتظار حتى ظهر اليوم التالي ومع ذلك فقد سمح لي اخيراً بالمثول امامه .

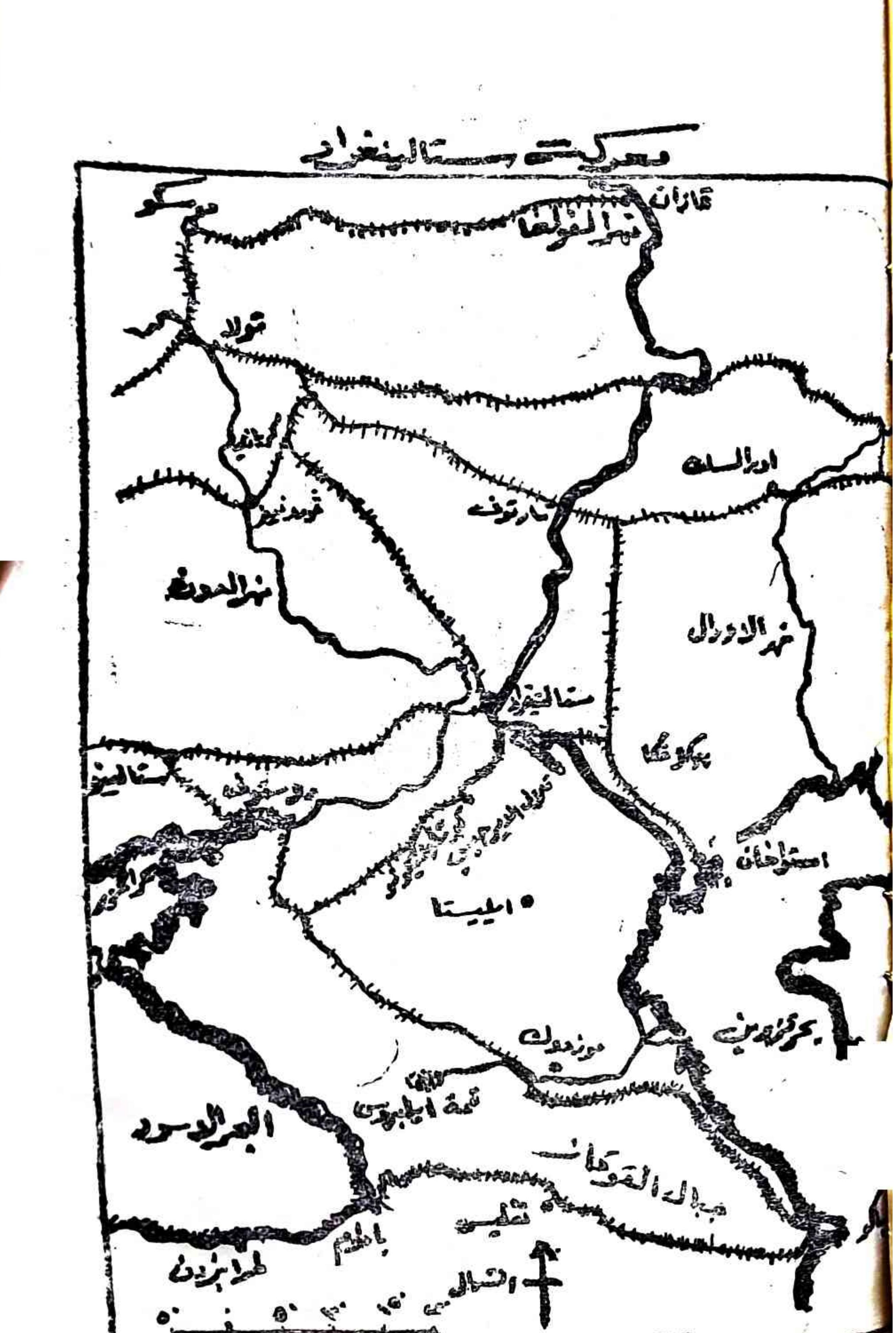
ولاهمية هذه المقابلة كثيراً بالنسبة لسير الحركات المقبلة فى منطقة ستالينغراد ولانها تبرز اساليب هتلر بصورة واضحة سأشرحها ببعض التفصيل .

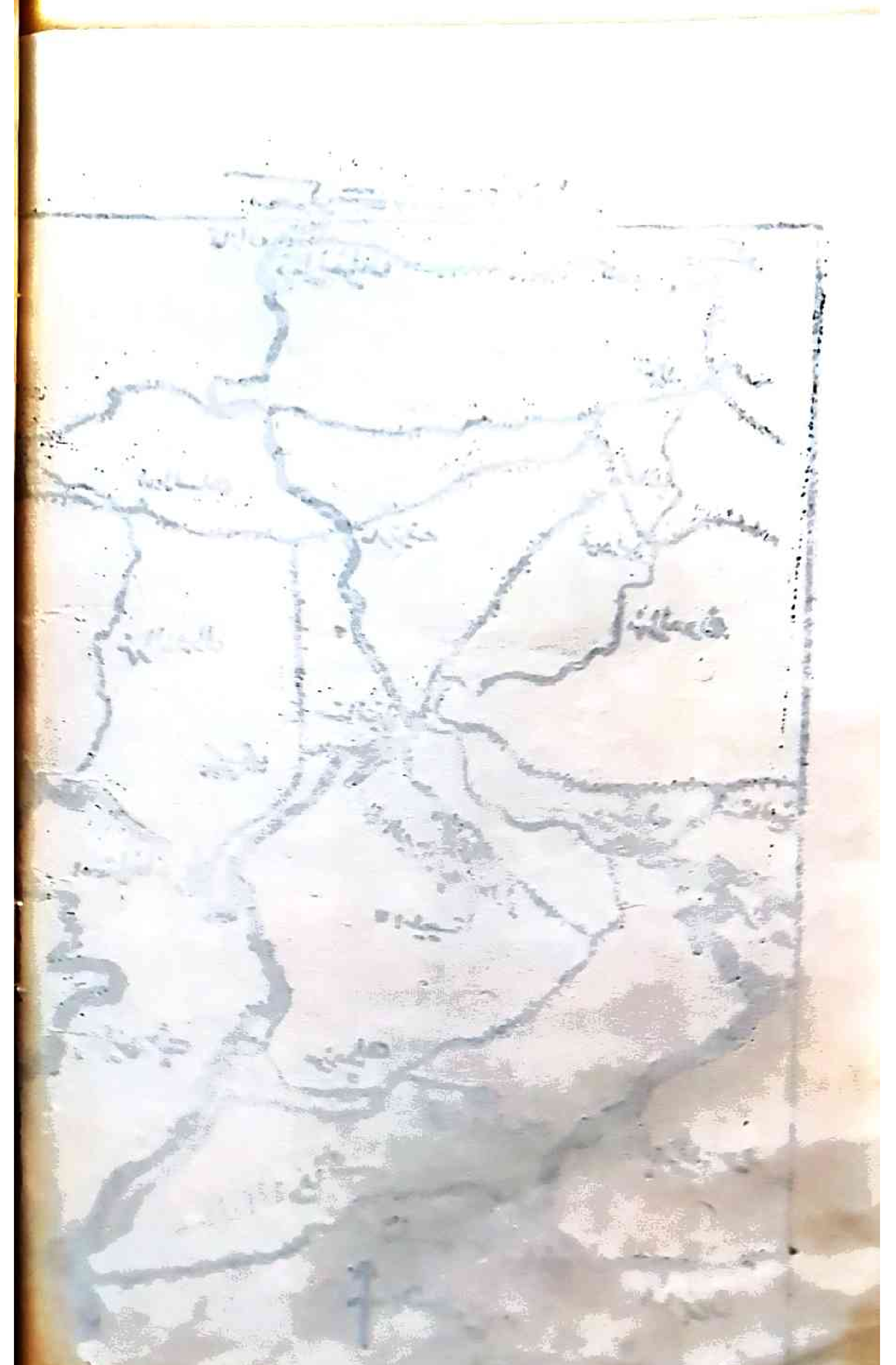
لقد جاء هتلر لاستقبالى ماداً يده وعلى وجهه ابتسامة مشرقة عمد بها بعث الثقة والامل ، وصافحنى وقال [شكراً لك ، لقد عملت جل مايمكنك عمله وما كان باستطاعتي شخصياً ان افعل اكثر من هذا لو كنت فى محلك] وحيث قد قررت ان احتفظ بتجهمي قال بصوت تغمره العاطفة [لاتسمح لنفسك ان تنزعج ويجب ان تبدو ثابت الجأش فى الملمات ، ويجب ان تتذكر فردريك الكبير] .

لاشك كان يود تشجيعي وانه ربما كان يأمل انه لو استطاع ان يوحي الى بثبات الجنان الذي تكلم عنه ان اتخلى عن مناقشاتي الاندحارية التي تحبذ انسحاب الجيش السادس وكذلك من المحتمل انه كان يريدني ان اعجب بثباته هو فى وجه الملمات ، والظاهر انه فشل تماماً فى ادراك ان مثل هذا التمثيل ابان الشدائد والازمات غير مفيد فحسب بل من الممكن ان يؤدي الى عكس مايرجوه منه . بدأت الحديث بوصف الموقف شمال غرب ستالينغراد كما هو الان استناداً الى اخر التقارير المستلمة من الجبهة وكما هو متوقع ان يتطور

فى المستقبل القريب وقدمت له التقارير والتقديرات المستلمة من قائد جحفل الجيش (ب) المارشال فون فايخز ومن رئيس ركنه الجنرال فون زودنيشترن الذين يشاركاني ارائي ثم انتهيت بقولى انه اذا استمر سير الحوادث بنفس المنوال الحالي فأن الجيش السادس سيطوق حتماً وهذا مايجب تجنبه مهما كلف الامر لانه اذا ماطوق هذا الجيش فسوف لايمكن فك الحصار عنه او ادامة تموينه ، وهنا قاطعنى هتلر اذ فقد السيطره على اعصابه واشار الي الحل الذي توصل اليه هو ويودل والمتضمن نقل فرقة مدرعة واحدة من القوقاز . لقد توقعت هذا وبذلك استطعت ان اقدم الان تقريراً مفصلا عن ظروف النقل والتاريخ المقدر لوصول الفرقة المعنية واقرب تاريخ لامكان دخولها المعركة وكان هذا لايقل عن الاسبوعين على اقرب تقدير وليس هناك مايقال عما سيكون عليه الموقف عندئذ الا شيئاً واحداً اكيداً وهو ان الموقف سيسوء بفضاعة اذا ما جلسنا مقيدين ولم نعمل شيئاً لمدة اسبوعين وعندئذ تصبح فرقة واحدة والتي هي دون ملاكها الكامل عديمة الفائدة تماماً وغير قادرة كلياً على التأثير على سير الحوادث واضافة الى ذلك كان من المشكوك فيه امكان قيامها بالهجوم بصورة مجموعة كوحدة اذ من المحتمل بالنسبة للموقف ان ندخل اقسامها المعركة على انفراد حال ترجلها من القطار .

ولقد ظهر لي ان هذه البيانات ولاسيما حساباتي المفصلة الخاصة بتاريخ وصول الفرقة كان لها بعض التأثير على هتلر لكنه لم يوافق على ترك خطته تلك اذ فكر قليلا ثم قال [وفى هذه الحالة ستجلب فرقتين من القوقاز] فاجبته ان هذا سوف لايجد نفعاً لان الوقت الخطر هو الان وقد تحدث فرقتان بعض التبدل فى الموقف ولكن جلبهما من القوقاز في الوقت المناسب غير ممكن ، كانت


معركة ستالينغراد
قازان
موسكو
نهر الفولغا
تولا
اورالسك
فورونيج
ساراتوف
نهر الدون
نهر الاورال
ستالينغراد
بيكوفكا
ستالينو
روستوف
استراخان
اليستا
بحر قزوين
موزدوك
قمة البروس
البحر الاسود
جبال القوقاز
تفليس
باطوم
طرابزون
الشمال



فى مقاومة فرق الهجوم الروسية المنتخبة بنجاح اكثر من القطعات المقاتلة التي تغلب عليها الروس فعلا ، والان وجدت هـــذه التشكيلات الادارية الصغيرة الضعيفة الناقصة التسليح والتدريب الجيد نفسها ملقاة تجاه نخبة مـــن الجيش الاحمر المسند كثيراً بالدروع والمدفعية ، ورغم ان هذه التشكيلات الادارية حاربت بشجاعة وماتت فى اماكنها الا انها لم تستطع ايقاف الاختراق الروسي انما اخرت التقدم دون الحيلولة فى تطويق الجيش السادس .

لم يكن الهجوم المقابل للفيلق المدرع (هـ) مشجعاً كثيراً ، والظاهر ان هتلر وحاشيته قد توقعوا الكثير من هـذا التشكيل الذي كان يبدو ذا اثر كبير على الخرائط حيث ضم اكثر من مائة دبابه ، وكانت المظاهر مظلله ومع ذلك كان يجب ان لا ينخدع بها هتلر الذي كان بطبيعة الحال على علم تام بالحقائق ولكنه رفض مرة اخرى بحجته الاعتيادية مجابهة حقيقة هـــذا الفيلق على اساس ان التقارير اندحارية . كان الفيلق مؤلفاً من فرقتين . الفرقة المدرعة الاولى الرومانية والفرقة المدرعة الثانية والعشرين الالمانية . ولم تكن الفرقة الرومانية قد مارست اي قتال حقيقي وكانت مجهزة كلياً بالدبابات المستولى عليها ، وكانت الفرقـــة المدرعة الثانية والعشرين ناقصة الملاك وكانت معظم عجلاتها قـــد توقفت عند التقدم الى الجبهة ، امـا الاحوال الجوية التي سيقاتل الفيلق فيها فكانت فظيعة اذ كان الجليد منتشراً فى كل مكان والثلج يتساقط بدون انقطاع مكونا كتلا ثلجية ، وكانت ساعات الضوء فى الاربعة وعشرين ساعة قليلة جداً ، وكان المؤمل مـــن الفيلق المدرع (هـ) فى مثل هـــذه الظروف القاسية ان يصد سيل الدبابات الروسية المتدفق خـــلال ثغرة واسعة فى جبهتنا الاماميه التي كان يزداد اتساعها باستمرار ولكن العارفين بحقيقة ما كان عليـه الموقف كانوا مدركين بان الفيلق

المدرع (هـ) هالك قبل اشتراكه بالمعركة فعلا . تأخر الهجوم المقابل للفيلق كما توقعنا بسبب الجو والعدو ، واخيراً دخل المعركة وحصل على بعض النجاح فى التو ، وتوقف الروس فى عدة نقاط متكبدين خسائر كبيرة خاصة فى الدبابات ولكن لم يأت هذا بتبدل جوهري فى الموقف ولا الى اعادة الموقف الى ما كان عليه سابقاً كما كان يأمله هتلر .

ان مثل هذا الواجب الجسيم كان اكثر من قابلية فرقتين بل كان يتطلب الى قوة كبيرة مؤلفة من عــــدة فرق تضم قطعات مجربة ومجهزة بتجهيزات مــــن الدرجـــة الاولى .

وعدما علم هتلر بفشل الهجوم المقابل للفيلق المدرع (هـ) استشاط غضباً والتفت الى المارشال كايتل الذي كان مسئولا عن امور الضبط فى الجيش صارخاً احضر قائــــد الفيلق حالا وجرده مــــن رتبته واقذف به الى السجن فكل ذلك خطؤه .

هكذا كان الجو السائد حول طاولة اجتماع هتلر وبالنظر لخلقه فانه لم يكن غريبـــاً ان يرفض بعنف الاستماع الي عندما حاولت مرة اخرى الحصول على موافقته لانسحاب الجيش السادس او الالتفات الى تقارير قيادات جحفل الجيش (ب) والجيش السادس التي حاول فيها القادة الذين كانوا مدركين تماماً جسامة مسؤليتهم الفات نظره الى خطورة الوقف، وقد اوضحت هذه التقارير التطورات المحتملة فى المستقبل فى ساحة المعركة وطلبت ايضاً انسحاب الجيش السادس ، ولكن غضب هتلر زاده عنـاداً .

وبعد ساعات قليلة وبعدما اعتقدت ان غضب هتلر قد زال طلبت مقابلة خاصة معه وحصلت عليها وكنت آمل ان اوفق فى تأمين نتيجتين ايجابيتين من

هذه المقابلة اولاهما : انني حسبت اذا ما تمكنت ان اقدم ببرود تقريراً واقعياً عن الموقف الحقيقي والنتائج المترتبة من ذلك فى المستقبل دون مقاطعة حاشية هتلر الشخصية بالتعليقات الهامسة عند عرضى ذلك قد استطيع اقناعه بتبديل رايه ، وثانيهما باننى رغبت ان ابين له بان التهم الموجهة الى قائد الفيلق المدرع (هـ) لا مبرر لها وانه يجب ان ترفع عنه بهدوء .

لقد قابلني هتلر بسكينه تامة واستمع بانتباه الى ما قلته وبذلك اعتبرت هذه المقابلة نجاحاً مزدوجاً ، فعندما اوضحت له الموقف وسير الاحداث المحتملة فى المستقبل او عدني هتلر الذي احجم عن مقاطعتي ان يعيد النظر بقراره بعناية وهدوء ، ثم حولت الحديث الى موضوع قائد الفيلق وقلت - ولو ان امور المجالس العسكرية ليست من اختصاص رئيس اركان الجيش لكننى اود ان اقول شيئاً عن قائد الفيلق المدرع (هـ) فامتقع وجه هتلر على الفور ولكنى مضيت بحديثي قائلا اننى اذ ابحث هذا الموضوع فذلك لمساسه بالحركات ايضاً من حيث تأثيره على ادارة الحركات فى الجبهة الشرقية وكرئيس اركان الجيش ارى ان القائد الذي يرتكب اخطاء تترتب عليها نتائج خطيرة يجب ان يحاسب ولكن قبل ان يطلب منه تبرير اعماله الماضية يجب فى الحقيقة اثبات كونه على خطأ ، والحالة تختلف مع القائد موضوع البحث فالتهم الموجه اليه لا تستند الا على مجرد افتراضات فقط : وعليه اقترحت بعد ذلك ان يشكل مجلس تحقيقي للتحقيق عن حقيقة الموضوع وان يعين هتلر اعضاء للمجلس من القادة الذين يعرفهم شخصياً ويثق بهم .

فكر هتلر ملياً قبل الاجابة وقال « حسناً سأعمل ذلك » ولكن لسوء الحظ تأيد ان نجاحي المزدوج لم يكن الا ابن ساعته اذ ما ان رأيت هتلر ثانية حتى قال « لقد اعدت النظر بالموقف بعناية ولكن بقت النتائج كماهي لم تتغير فلا

ينسحب الجيش السادس » وفى الواقع انني لا استطيع الجزم ما اذا كان هذا قراره هو او انه موحى به من المارشال كايتل والجنرال يودل . وعلى كل فانه لم يسأل رأي رئيس اركان جيشه ثانية ، اما عن موضوع قائد الفيلق المدرع (هـ) فقد اخلف هتلر بيساطه وعده لي وكان هذا بتيجة بحث طويل مع كايتل وهكذا ابقى هتلر على قراره الاصلي الذي املاه عليه الغضب وخيبة الامل ، ولذلك لم يسمح لاي احد ان يذكر أسم القائد المذكور بين يديه وقضى هذا عدة اشهر فى السجن ثم نزلت رتبته الى رتبة جندي بسيط ولم يؤلف مجلس تحقيقي لانوجود مثلهذا المجلسكان يعنيفضح المسئول الحقيقي فى فشل الهجوم المقابل للفيلق المدرع وفى اوائل كانون الاول وزع مقتبس الحكم الموقع من قبل هتلر على القادة الكبار محتوياً على الاخطاء المزعومة المرتكبة من قبل قائد الفيلق السيء الحظ .

التقاء ذراعى الكماشه الروسية

أخذ الموقف فى الجبهة يزداد سوءاً ساعة بعد اخرى وفى واليوم الثالث من هذه المعركة الشتائية الهائلة كان التقاء ذراعى الكماشة الروسية فتطويق الجيش السادس وشيك الوقوع . وكان مقر الجيش المذكور المعين موقعه بدقة تامة هو نقطة الالتقاء المتوقعة لذراعي التقدم الروس ولذلك طلب قائد الجيش السادس من هتلر السماح له بتحريك مقره بعيداً الى الغرب ولكنه لم يحصل على جواب لطلبه .

كان البيان الرسمي اليومي يكتب فى مقر القيادة العليا للجيش ويجري تصحيحه عادة من قبل هتلر نفسه ، وفى اليوم الاول للمعركة جاء فيه ما يلي :
(قام العدو بالهجوم بقوات قوية من المشاة المسندين بالدروع)

وجاء فيه فى اليوم الثالث (نجح السوفييت فى اختراق جبهتنا الدفاعية فى جنوب غرب ستالينغراد وفىعطفه الدون الكبيرة يقذف كتل هائلة من الرجال والمعدات فى المعركة بدون مبالات) وفى مساء ٢٢ تشرين الثاني وردت رسالة لاسلكية من قائد الجيش السادس يخبر فيها القيادة العليا للجيش ان جيشه قد طوق الان فأجاب هتلر لاسلكياً أيضاً آمراً الجيش السادس باتخاذ موضع دفاعي مدافع عنه من جميع الجهات وان يتحرك قائده وهيأة ركنه الى ستالينغراد - وهكذا تم تطويق ستالينغراد ، واستمر الروس فى تقدمهم على طوار بقيــة الجبهة الملتهبة بدون توقف .

والظاهر ان القيادة الروسية العليا قد بنت خطتها على الاعتبارات التالية وهـــي بالنظر لجميع التجارب الماضية سوف تصدر الاوامر الى الجيش الالماني والوحدات الاخرى المطوقة معه فى ستالينغراد وحولها ان يصمدوا بثبات ويقاتلوا حيث هم واقفون ، وهو مالايستطيعونه لمدة طويلة وبذلك يقعون تلقائياً فريسة بأيدي الروس ، وعليه فالهدف التالي للتعرض الروسي يجب ان لايكون ازاحة الجيب فى ستالينغراد بل منع تقويته بقوات آتيـة مـن الخارج وان احسن وسيلة لتأمين ذلك هي دفع الجبهة الالمانية الى اقصى حـد ممكن وبذلك تكوين اكبر فجوة بين الجيش المطوق وبين القوات الالمانية الرئيسية باقصر فترة زمنية ممكنة كانت هذه الخطة صحيحة وواضحة معاً وشرع الروس الان بتطبيقها فعلا فهوجم جحفل الجيش (ب) بقوة وبدون هوادة وتم دفعه شيئاً فشيئاً بعيداً الى الغرب ولتوسيع نطاق نصرهم فانهم هاجموا الايطاليين فى النصف الثاني مـــن كانون الاول والهنغاريين فى كانون الثاني واخيراً هاجموا الجيش الثاني الالماني الذي كان فى جناح الهنغاريين الايسر واندفعوا كثيراً الى الغرب وكانت النتيجة كما سـبق وتنبأتها تماماً عند مقابلتي الطويلة لهتلر اثر تعييني رئيساً لاركان الجيش .

ـ حصن ستالينغراد ـ

نصت اولى الاوامر التي اصدرها هتلر بعد التقاء ذراعى الكماشة الروسية بما يلي « تعرف قوات الجيش السادس المطوق فى ستالينغراد بقطعات حصن ستالينغراد » وهكذا وبجرة قلم اصبح التطويق حصناً على قدر ما يتعلق الامر بهتلر ، وربما انطلت هذه الحيلة على البعض من الشعب الالماني غير المتشكك ولكن الهيآت العسكرية والقطعات المقاتلة ـ والعدو احتمالاً ـ كانوا يدركون ما هي فى الواقع حصون هتلر .

كانت هذه نموذجاً لاساليب هتلر فى شن الحرب النفسية ، وقد اعتقد بانتحاله كلمة « حصن » انه اصاب عدة عصافير بحجر واحد ، اذ سوف ينخدع العدو فيحسب ستالينغراد منطقة محصنة بمواضع دفاعية قادرة على ايقاف اي هجوم ، وسوف تتشجع القطعات الالمانية الموجودة فى ستالينغراد للصمود بشدة باعتقادها انها اصبحت الان فى حصن يقوى لتحمل حصار مديد يحميها من تكبد خسائر كبيرة ، وسوف يلتبس الامر على السكان المدنيين بالذكريات التاريخية عن الحصون والدفاع عنها ببطولة ثم انقاذها ببطولة ، كذلك سوف ينسى العالم حقيقة الموقف المتمثلة فى تطويق جيش الماني بدون مبرر نتيجة للخطط الفاشلة الموضوعة من قبل الجهات العليا وان حصن ستالينغراد لم يكن حصناً بالمعنى الصحيح وانما بالاسم فقط .

كان هتلر مسروراً باختراعه هذة التسمية وقد اخبرني بها وهو يتألق بشراً ويتوقع منى كما يظهر ابداء تأييدي بحماس ولكني قلت له كان الحصن فى الايام الماضية حصيلة عمل تحضيري طويل فبعد بناء التحصينات كانت تكدس فيه كميات كبيرة من العتاد والارزاق ، اما ستالينغراد فانها لم تكن محصنة

ولا بمونة ، واضافة الى ذلك فان الغاية من الحصون هي تثبيت قوات كبيرة من العـــدو بقطعات قليـــلة نسبياً من قواتنا ، وكانت الحالة بعكس ذلك بالنسبة للجيش السادس .

ولكن هتلر لا يتحمل اي انتقاد حتى فى موضوع تافه كهذة التسمية وقد تبرم بتعليقاتي وتمسك باختراعه ، اما القادة والجنود الواقعون فى الجيب فقـــد اغاضهم هـــذا العنوان الطنان عـــديم المعنى الممنوح لهم دون ان يكون له اي اثر اخر .

كان التطويق مبدئيـــاً يعرض حوالي ٢٥ ميلا (اي محور شرق ـ غرب) وحوالي نصف ذلك عمقاً (اي محور شمال ـ جنوب) وكانت الارض جرداء قلما ترى فيها شجرة او نبته وكانت تشمل عدداً من القرى والقسم الاكبر من ستالينغراد رغم بقاء بعض قواطع هذه المدينة بيد الروس وتقع حدودها الشرقية على الضفة اليمنى لنهر الفولغا ، اما القسم الاكبر من الجبهة فكان قـــد تشكل حديثاً ـ نتيجة للاختراقات الروسية من الشمال والجنوب ـ وغير محصن كلياً فاقتضى بناء التحصينات الان فى ظروف قاسية جداً تحت تأثير العواصف الثلجية العارمة وبدرجة حرارة واطئة تقل عن درجـــة الانجماد كثيراً مع عدم تيسر مواد البناء اللازمة على الاغلب وبلوغ الاعياء البدني لدى الضباط والمراتب على السواء اقصى درجاته ، فى مثل هذه الظروف ابتدعت قضية الحصن .

كان الجيب يحتوى على معظم العشرين فرقـــة الالمانية وعناصر من فرقتين رومانيتين وقطعات المقر العام كالهندسة والمدفعية وافواج مدافع الصولة ووحدات هندسة الحمله ووحدات من المنظمات الخاصة وهيآت ركن مقرات خمس فيالق ومقر قيادة الجنرال بولس قائد الجيش السادس ، اما القوة الجوية الالمانيـــة فكانت ممثلة بقسم من فيلق مدفعية ضد الجو والجماعة الارضية وكانت كميات العتاد

والارزاق المكدسة قليلة كما كانت القطعات المطوقـــة تفتقر بصورة خاصة الى الوقود للوحـدات الالية المتعددة وكان واضحاً ان مواد التموين المتيسرة هـذه سوف تستهلك بسرعة .

لم يكن بالامكان تثبيت العـــدد الصحيح للقطعات المطوقة وكانت الارقام تتراوح بين ٢١٦ الف واكثر قليلا من ٣٠٠ الف ويرجع سبب هذا التباين الى ان الرقم الاعلى كان يمثل قوة القدر للجيش السادس والوحدات الملحقة به قبل بدء التعرض الروسي وان بعـض العنـاصـر الصغيرة للجيش السادس استطاعت الافلات من التطويق فى بدايته بينما تطوقت وحدات لجيوش اخرى ،وكان الموقف مرتبكاً فى الاسابيع الاولى مما تعذر بيان الارقام الصحيحةوعلى اي حال فالقطعات المحاصرة وآمريها كان لديهم من الواجبات المطلوب انجازها أهم بكثير من عد الرؤوس وتقديم كشوف القوة العمومية .

كانت وسائل المواصلات الوحيدة بين الجيش المطوق والعالم الخارجي هي الطائرات واللاسلكي وفى البدء كانت توجد ثلاث او اربع مطارات فى الجيب ، واسست بعد التطويق مباشرة شبكة مواصلات تلفونية لاسلكية خاصة اشتغلت جيداً فى الايام الاولى وكان بامكان الجنرال بولس المحادثة مع أمر جحفل الجيش (ب) بواسطتها .

هل كان ينبغي ان يقاتل الجيش السادس لفك تطويقه

بعـد تطويق الجيش السادس مباشرة حاول كل من قائـد الجيش السادس وقائد جحفل الجيش(ب) الحصول على موافقة هتلر على قتال الجيش السادس لشق طريقه وفك التطويق والالتحاق بالقوات الالمانية الرئيسية البعيدة غرباً ، وكان هتلر قد رفض قبل الان الموافقة على الانسحاب الذي بنيت خططه على تقدير موقف

عسكري التطورات المحتملة فى المستقبل ، اما الان فقد اصبحت هذه التطورات واقعية وقد حسب كل من فايخز وبولس وقادة فيالق الجيش السادس ان هتلر سوف يواجه الحقائق الان ويعمل بموجبها ولهذا ومن دون انتظار لجوابه اصدرت الاوامر التمهيدية للبدء بالحركات بدون تأخير حال استلام موافقته ، ولكن لم تكن هذه الموافقة قريبة المنال وقد بذلت قصارى جهدي يوماً بعد آخر لاقناع هتلر بوجوب السماح للجيش السادس بشق طريقه وفك تطويقه وناقشته الموضوع طويلا كل ليلة تقريباً وكانت طبيعة المحادثات موضوعية وهادئة احياناً وحادة وصاخبة ترتفع فيها الاصوات احياناً أخرى . وكنت اذا ما صرخ بي اقابله بالمثل ببساطة وبهذه الطريقة الوحيدة يتسنى للمرء اسماع صوته له عندما يكون فى احدى حالات هيجانه ، وقد حسبت مرة باني نجحت فى مسعاي وبدا هتلر وكأنه على استعداد لتوقيع امر الموافقة على فك التطويق وتنفس الجميع الصعداء واصدرت التعليمات التمهيدية لذلك الا ان هتلر ابى توقيع الامر وأجل ذلك مراراً كلما عرض عليه واخيراً اخبرني بعدوله عن رأيــــه ، فذهبت كافة مساعينا عبثاً واصبح لزاماً معاودة المناقشات الطويلة والمجالات والمخاصمات ثانيـــة ، ومن السهل تصور مدى التصدع المعنوي الذي اصاب المسؤولين من كبار الضباط الذين كادت تنهار اعصابهم .

ولايضاح ماكان عليه الجو السائد فى ذلك الوقت سأصف محادثتين هامتين اجريتهما مع هتلر واستطيع فى بعض مراحلهما نقل الكلمات التي استعملت فعلا :

جرت المحادثة الاولى بعد التقاء ذراعي الكماشة الروسية بقليل فقد طلبت مقابلة طويلة خاصة مع الدكتاتور هتلر فلبي طلبي وقابلني فى وقت متأخر من الليل وتحدثنا حتى الصباح وبدأت بشرح حقية الموقف له مستخدماً الخرائط واوضحت التطورات المحتملة فى المستقبل فقاطعني قائــــلا ان الموقف سوف لايتطور كما

افترضت ان بل سيتبدل جوهرياً بهجوم الفرقة المدرعة القادمة من القوقاز وباستخدام الدبابة الثقيلة الجديدة ـ النمر ـ .

كانت هذه فكرة جديدة ومثالية فالدفعه الاولى من دبابات النمر كانت خارجة من المعامل لتوها ، وكان هتلر يميل لاعتبار كل سلاح جديد صانع معجزات ويعتقد انه لو ارسلت الدفعة الاولى من هذه الدبابات الثقيلة الى المعركة كفوج فان هذه الوحدة ستنجح فى اختراق التطويق الروسي ، وكان يتقد حماساً لخطته هذه التي يظهر انها فتنته حقاً ومن المحتمل انه اعتقد فعلا بان استخدام هذا الفوج الواحد سيغير مجرى المعركة بين عشيه وضحاها ، وبعينين متوقدتين وبصوت عال حاول هتلر ان يبعث فى حماسه ويبدو انه كان راغباً فى استحساني لخطته هذه : فقلت « انه صحيح حقاً ان النماذج الاصلية لدبابات النمر قد قامت بعمل باهر ويمكن ان تتوقع منها اموراً عظيمة ولكنا لانعلم بعد صمودها ازاء ظروف الشتاء الروسي كما انها لم تجرب بعد فى المعركة ومعلوم ان نواقص غير متوقعة ظهرت قبل الان فى كافه الاسلحة الجديدة عند استخدامها فى القتال لاول مرة واقتضى تلافى مثل تلك النواقص جهداً ووقتاً طويلا دائماً ولهذا لايمكننا ان نفترض ان دبابات النمر ستكون مرضية مائة بالمائة منذ البداية وعلاوة على ذلك فليس لدينا الكفاية منها وقد يكون من الممكن ان ينجح فوج واحد منها فى اختراق الخطوط الروسية ويؤمن التماس مع الجيش السادس ولكنه قد لايتمكن من ابقاء الممر مفتوحاً ، واضافة لذلك يجب ان لايغرب عن بالنا انه عندما يتسنىاستخدام الدبابات الجديده فعلا تكون جبهتنا قد اصبحت ابعد بكثير مما هي عليه الان عن جيش ستالينغراد وستكون الحركات بسبب المسافات الكبيرة التي يجب سترها اكثر صعوبة واشكالا فيما لو جرى شنها فى الحال » . واكتفيت بهذا القدر عن دبابات النمر واكملت

تقديري للموقف وانهيت حديثي بهذه الكلمات « حيث لايمكن نجاح الحركات المقترحة لانقاذ الجيش السادس فانه من الضروري اصدار الاوامر اللازمة حالا لهذا الجيش القيام بقتال انسحاب فقد حلت اللحظة الاخيرة الممكنة الان » .

غمر للغضب هتلر اثناء حديثي شيئاً فشيئاً وبصورة ملحوظة وحاول انهاءه ولكنى لم افسح له المجال لمقاطعتي لعلمي انها الفرصة الاخيرة لاقول مايجب قوله ولما انهيت حديثي قال صارخاً « سوف يبقى الجيش السادس حيث هو الان ، انـــه حامية حصن ، وواجب قطعات الحصن تحمل الحصـار ، وعليها الصمود الشتاء كله عند الاقتضاء ، وسوف انقذها بتعرض ربيعي » .

كان هذا ضرب من الخيال وعليه قلت :

« ليست ستالينغراد حصناً كما ليس هنـاك من وسيلة لادامـــة تموين الجيش السادس » .

فأشتد غضب هتلر كثيراً وصرخ عالياً :

« لقـــد قال مارشالى الرايخ غورنك بأنـــه يســـتطيع تموين الجيش الســـادس جـــواً . »

والان صرخت انا ايضاً وقلت « هذا هراء » فقال هتلر « انا لست بتارك الفولغا » فقلت بصوت عال « سيدي انها لجريمة ان يترك الجيش السـادس فى ستالينغراد وتركه يعنى موت او اسر ربــع مليون رجل ولا أمل فى خلاصهم ، وضياع ذلك الجيش العظيم يعنى تحطيم بناء الجبهة الشرقية باسرها »

شحب لون هتلر وظل ساكناً ورماني بنظرة جامدة وضغط زراً على منضدته فحضر ضابط الخفر وهو مـــن القطعات الخاصة (اس ، اس) وقال « استدع المارشال كايتل والجنرال يودل » وخيم السكون علينا حتى حضرا وكان حضورهما فى الحال تقريباً ولا شك انهما كانا ينتظران فى الغرفة المجاورة ومن المحتمل

انهما سمعا اصواتنا الصاخبة من خلال الجدران الرقيقة لغرفة الخرائط واستطاعا تكوين فكرة عن طبيعة تلك المشادة .

ادى كايتل ويودل التحية الرسمية وبقى هتلر واقفاً متجهماً وكان لايزال شاحب اللون وان بدا هادئاً تماماً فى الظاهر على الاقل وقال :

« علي ان اتخذ قراراً خطيراً وارغب قبل ذلك ان اسمع اراءكم ، هل اخلي ستالينغراد ام لا ؟ فما هي وجهات نظركم ؟ »

انعقد مايمكن ان يوصف بمجلس حرب وهو سياق لم يسبق ان اختاره هتلر من قبل ، فقال كايتل وعيناه تومضان وهو واقف باستعداد عسكري « سيدي لاتترك الفولغا »

اما يودل فقد تكلم بهدوء وموضوعية وهو يزن كلماته التالية وقال « سيدي انه لقرار خطير حقاً هو ماستتخذه الان ، فاذا انسحبنا من الفولغا فذلك يعني التخلي عن قسم كبير من المكاسب التي حصلنا عليها بتكاليف باهضة فى تعرضنا الصيفي ، ومن الناحية الاخرى فان لم نسحب الجيش السادس فمن المحتمل ان يتحرج موقفه ، كما قد تنجح الحركات المقترحة او قد تفشل ، ولغاية مانرى نتيجة هذه الحركات فأن رأيي هو انه يجب ان نستمر فى ضبط الجبهة على طوار الفولغا »

ثم وجه هتلر كلامه نحوى قائلا « دورك » وكان من الواضح انه كان يأمل ان تكون كلمات الجنرالين قد ادت الى تغيير رأيي ، ومع ان هتلر هو الذي يعطي القرارات فأنه كان يميل بغرابة للحصول على موافقة مستشاريه الفنيين ولو بصورة شكلية ، أخذت وضع الاستعداد العسكري وقلت له بكل جدية « سيدي : ان رأيي لم يتغير ، انها لجريمة ان يترك الجيش السادس حيث هو فنحن لانستطيع انقاذه ولا ادامة تموينه انما نضحي به ببساطة وبدون جدوى . »

حافظ هتلر على هدوئه الظاهري والسيطرة على نفسه رغم انــــه كان يغلي غضباً فى قرارة نفسه وقال لي : « انك ترى ياجنرال باني لست وحدي فى رأيي ويشترك معي هذان الضابطان وكلاهما اقدم منك ولذلك فأني سوف اتمسك بالقرار الذي اتخذته » ثم انحنى بجفاء وانصرفنا .

اما المناقشة الثانية التي سأصفها بالتفصيل فقد حدثت فى الليلة التالية ، اذ بالرغم من رفض هتلر قبول حججي بخشونة فانى لم اكن مستعداً للتخلي عن معركتي لانقاذ الجيش السادس وقد علمتني التجارب بوجوب التصدي للمشكلة من زاوية اخرى ، لقد كان قرار هتلر الذي يبدو انه نهائي وقطعي قد استند على اعتبارات سوقية ولهذا فأنه من غير المفيد محاولة اثارة النقاش حوله ثانية فى المستقبل القريب لانه سوف يرفض الاستماع لذلك دون ريب ، ومع ذلك فقد لا يسري هذا على الامور الادارية وكان تعليلي لذلك انه اذا فشل السوق كحجة فقد تنجح بذلك الامور الادارية وقد انجح فى استمالته لطريقة تفكيري اذا ما استطعت اراءته موقف تموين الجيش السادس بالتفصيل واثبات عدم امكان تموين الجيش المذكور بطريق الجو بالاستناد على حقائق وارقام ثابته علما بان هتلر كان يتأثر دائماً بالاحصائيات ، وقد كان ضابط دائرة حركاتي ومختلف ضباط الشعب الفنية ذات العلاقة ومديرية الميرة والتموين للجيش مقتنعين جميعاً بعدم امكان صمود ستالينغراد وتعذر ادامة تموين جيش ستالينغراد بطريق الجو وقد اوعزت لهؤلاء تهيأة بيانات المواد التي استندوا عليها فى استخلاص النتائج المذكورة على شكل جداول احصائية وغيرها وجداول اخرى تبين النقص الحاصل فى مواد التموين ، والان لا استطيع ان اعيد بيان الارقام الصحيحة من الذاكرة والتي قدمت من قبل ضباط الركن المختصين ولكنى استطيع اجمالا بيان الكمية الكلية المطلوبة من مواد التموين بعد احتساب المواد الموجودة فعلا

داخل منطقة التطويق ، فقد كان الجيش السادس بحاجة لنقل جوي قادر على تسليم (٦٠٠) طن مترى فى اليوم الواحد كحد ادنى لبقائه على قيد الحياة ويحتاج فى ضروف اكثر حرماناً بالاستفادة من ذبح واكل خيوله الى (٣٠٠) طن فى اليوم الواحد كحد ادنى يجب تأمينه كل يوم بغض النظر عن العوامل الخارجية كالاحوال الجوية التي لا يحتمل ان تكون ملائمة فى مثل هذا الفصل وهذا يعني انه لامكان تزويد الجيش السادس بالحد الادنى الذي يحتاجه بدون اي نقصان يجب القيام بنقل خمسائة طن من مواد التموين جواً الى الجيش المذكور فى كل يوم يساعد على الطيران ، وقد درجت هذه الحقائق بوضوح فى جداول الارقام التي هيأها ضباط ركنى الاز وحالما تم ذلك طلبت مرة اخرى مقابلة خاصة مع هتلر فبين لى ساعة متأخرة من الليل وقابلنى ببرود بنتيجة مناقشتنا فى اليوم الماضي ومع ذلك فقد نجحت فى اثارة اهتمامه بالارقام التي وضعتها امامه وسمح لي باتمام الشرح اللازم لافهامه المعني الكامل البيانات الاحصائية وانهيت تقريري بالكلمات التالية « بعد تمحيصي للحقائق بالتفصيل توصلت الى النتيجة التي لا مفر منها وهي عدم امكان ادامة تموين الجيش السادس بطريق الجو . » فسرى الجمود بشكل هتلر وقال : « اكد لي مارشال الرايخ غورنك بان ذلك ممكناً » فكررت قولي « بانه غير ممكن » وعند ذلك قال هتلر « حسناً سيخبرك هو بنفسه » ثم استدعى مارشال الرايخ غورنك القائد الاعلى للقوة الجوية الالمانية وقال له « غورنك ، هل تستطيع ادامة تموين الجيش بطريق الجو ؟ . »

فرفع غورنك يده اليمنى وقال بثقة واطمئنان « سيدي : اؤكد لك بان القوة الجوية تستطيع ادامة الجيش السادس . »

فرماني هتلر بنظرة انتصار ولكني قلت ببساطة « من المؤكد ان القوة

الجوية لا تستطيع ذلك »

فعبس مارشال الرايخ وقال : « انك لست فى موقف تستطيع فيــه ان تعطي رأياً فى هذا الموضوع . »

فاتجهت نحو هتلر وسألته :

« سيدي هل لي ان اسأل مارشال الرايخ سؤالا » فقال « نعم تستطيع »

فقلت « السيد مارشال الرايخ ، هــل تعرف الاطنان التي يجب نقلها كل يــوم ؟ »

وكان مــن الواضح ان غورنك قد تأثر من ذلك وتطب وجهه وقال « انــا لا اعرف ولكن ضباط ركني يعرفون . »

ودنا قلت « بملاحظة مالدى الجيش السادس حالياً مــن مواد التموين واحتياجاته الماسة بحدها الادنى وباتخاذه كافة تدابير الطوارى الممكنه فانه يحتاج استلامه ثلثمائة طن يومياً ، وحيث مــن غير الممكن الطيران فى كل يوم كما علمت ذلك فى الجبهة فى الشتاء الماضي فمعني هذا انه يجب نقل حوالي خمسمائة طن فى كل يوم ملائم للطيران للمحافظة على معدل الحــد الادنى الذي لا يمكن تقليله . »

فأجاب غورنك : « انني استطيع عمل ذلك »

وهنا فقدت زمام السيطرة على اعصابي وقلت :

« سيدي ان هذا كذب »

فخيم سكون رهيب علينا ثلاثتنا وغمرت غورنك سورة من الغضب ، اما هتلر فقد اخذ ينقل بصره بين واحد واخر منا بذهول ودهشة وقال لي اخيراً :

« لقد قدم لي مارشال الرايخ تقريره ولا خيار لي غير تصديقه وعليه فانا التزم بقراري الاصلي »

فقلت له :

« ان لي طلباً آخراً »

فقال هتلر

« ومـا هــو »

فقلت : هـل لي ان اقدم لك تقريراً يومياً موضحاً فيـه عدد الاطنان المنقوله جواً الى الجيش السادس خلال الاربع والعشرين ساعة الماضية ؟

فاعترض غورنك قائلا (لا علاقة لي بذلك) ولكن هتلر تجاوزه واذن لي بتقديم ذاك التقرير وبهذا انتهى المؤتمر .

وهكذا ذهبت جهودي سدى مرة اخرى ، وكان كل ماحصلت عليه هو عداء مارشال الرايخ غورنك وهنا وبالمناسبة يجدر بي ان ابين ان الكثيرين من ضباط ركن القوة الجوية وامريها كانوا يشاركونني الرأي منذ البداية وقد عبر البعض منهم عن شكوكه حتى كتابة ولكنهم لم يستطيعوا اقناع قائدهم الاعلى فتجاهل تقاريرهم وحرص كثيراً فى عدم وصولها لهتلر .

فترة انتظار هجوم مانشتاين

وهكذا باءت بالفشل كافة محاولاتي لانقاذ الجيش السادس ولكنى لم افقـد الامل بعد ، فهناك تطوران في المستقبل قد يحملان هتلر على تبديل رأيه وهما فشل الهجوم الهادف لانقاذ الجيش السادس المحاصر ، وفشل القوة الجوية فى ادامة تموين ذلك الجيش ، وأحسن ما يؤمل من هذا الهجوم هو تقريب قواتنا الرئيسية قليلا من الجيش السادس وبذلك تتحسن فرص قيامه بخرق الحصار بنجاح ، واني لارجو ان يثوب هتلر الى رشده اخيراً ليرى مـا فيـه الصواب عندما تحين تلك اللحظة لحظة فشل الهجوم فى تأمين هدفه الاساسي فى الاتصال

بالجيش السادس ، واما عن النقل الجوي فاني أرجو ان اخلص هتلر بواسطة تقريري اليومي من الاوهام التي غرسها فى مخيلته غورنك وغيره .

انه لابد من مضى وقت غير يسير قبل ان تواتى الضروف الملائمة التي قد يمكن بعد تغيير رأى هتلر فيها للتخلي عن ستالينغراد ، والوقت يمضي سراعا الان فى غير صالح الجيش السادس ، وسوف يسوء موقفه بدرجة خطيرة فى خلال عشرة ايام او خمسة عشر يوماً ، فمواد التموين خاصة المطلوبة لخرق الحصار وسيما مواد الوقود منها أخذت تتناقص سريعاً ، كذلك كانت الجبهة الرئيسية لجحفل الجيش (ب) تدفع الى الوراء غرباً باستمرار وبذلك اخذت تتسع المسافة التي يقتضى على الجيش السادس سترها ، وكانت هاتان هما المشكلتان الرئيسيتان .

وفى غضون ذلك لم يبق لنا ما يمكن عمله سوى اجهاد كل عصب فينا سعياً وراء تقوية الجيش السادس او بالاحرى الحد من اضعافه وضمان شن هجوم الانقاذ فى اكثر الضروف ملائمة وباسرع ما يمكن ، ولقد اقتنع هتلر على الاقل باعادة تنظيم سلسلة القيادة على طول القاطع الجنوبي للجبهة الشرقية ، وتشكل جحفل جيش جديد دعى بجحفل الجيش « دون » بين جحفلى الجيش (أ) و (ب) وعين المارشال فون مانشتاين قائداً عاماً له ، وكانت فائدة هذا الترتيب الجديد هي رفع بعض المسئولية عن كاهل جحفل الجيش (ب) الذي كان يسيطر على قاطع واسع جداً فى الجبهة ، واصبح بامكان جحفل الدون الان تركيز كافة جهوده على المعركة المقبلة لانقاذ جيش ستالينغراد دون ان يحيد عن هذا الهدف فى النظر بمشاكل اخرى .

وفى ٢٧ / تشرين الثاني تسلم جحفل جيش الدون قيادة الجيش السادس والجيش المدرع الرابع المكلف بالقيام بهجوم الانقاذ والجيشين الثالث والرابع الرومانيين الذين تقهقرا الى الغرب والذين يشغلان الان القاطع المقابل لستالينغراد

فى الجبهة الرئيسية .

اما اوامر هتلر التي صدرها لجحفل الجيش دون فكانت انعكاساً واضحاً لارائه التي سبق وبينها لي وهي « وجوب الاحتفاظ بستالينغراد واعادة تأمين الاتصال بالقوات الالمانية الموجودة فيها بالهجوم » وقد ادرك مانشتاين لاول وهله ان الاوامر التي تلقاها لايمكن فى الواقع تنفيذها وشرح رأيه الخاص بذلك فى تقرير واضح قدمه لهتلر تضمن « ان يقوم الجيش السادس بخرق الحصار باتجاه الغرب موقتاً حركاته هذه مع هجوم الانقاذ وبذلك تكوين جبهة جديدة بعيداً الى الغرب » وهكذا اعاد مانشتاين بشكل معدل الاراء التي سبق وبيناها انا وقائد جحفل الجيش (ب) ، ومع ذلك فقد ظل هتلر متصلبا فى رأيه ولم يخول مانشتاين صلاحيات قيادة حركات الجيش السادس ، ولكنه حاول من الناحية الاخرى تخفيف وقع ذلك عليه فوعده بمده بقوات اضافيـــة لاسناد هجوم الانقاذ يسحب بعضها من القوقاز والبعض الاخر من ميادين القتال الغربية ومع ان هذه القوات كانت ذات فائدة لمانشتاين حقاً الا انها قد تصل متأخرة جداً بالنسبة للحركات القائمة ، ولقد بذل مانشتاين قصارى جهده لتنفيذ الاوامر التي تلقاها رغم الاعتراض على خططه ، ومن الجدير بالذكر ومن دون الدخول فى تفصيلات لامجال لها هنا ان هيأة ركن جحفل الجيش « دون » بذلت ما باستطاعتها لضمان شن الهجوم فى اكثر الظروف ملائمة وبدون تأخير ، وكان مانشتاين يأمل ان يبدء الهجوم بين الثامن والعاشر من كانون الاول . اما النقل الجوي فكان يسير اثناء ذلك بطريقه الى ستالينغراد وكانت تقاريري اليومية لهتلر تبين عدد الاطنان المنقولة جواً بـ ١١٠ اطنان و ١٢٠ طناً و ١٤٠ طناً احياناً ونادراً ما زاد العدد عن الرقم الاخير وكان اعتيادياً يقل كثيراً عن الرقم الاول وبذلك لم يؤمن نقل الحد الادنى اليومي ناهيك عن الخمسمائة طناً التي وعد بها

مارشال الرايخ كما لم تصل اي مواد تموين لعدة ايام مطلقاً كما كان متوقعاً . وهكذا لم تومن احتياجات الجيش السادس الاساسية ولم يقع هذا بسبب تقصير نوتية الطائرات وامريهم المباشرين الذين بذلوا قصارى جهودهم انما بسبب تعهد غورنك بالقيام بواجب هو فوق طاقة القوة الجوية الالمانية ، غير ان غورنك اوحد اثناء محادثاته اليومية مع هتلر بتحسن الحال وادعى بان النقل الجوى لازال فى بدايته الان وسيجري خلال ايام قليلة على ما يرام وانه سوف يستطيع البر بوعده حتماً ، وقد قبل هتلر هذه الاعذار واخذ يرددها للاخرين بقوله « ان مارشال الرايخ قد اعطاني كلمته ، انه يهيىء تنظيما احسن وانه سوف يجلب عدداً اكبر من الطائرات ، اما فى الحقيقة فكان الموقف يزداد سوءاً ، فالجبهة الرئيسية مندفعة الى الغرب باستمرار ويعنى ذلك تكرار تبديل المطارات التي كان يجري منها النقل الجوي لمواد التموين الى ستالينغراد وازدادت المسافات وتحتم على طائراتنا الطيران عبر نطاق من الاراضي التي يحتلها العدو واخذت تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم وازداد تساقط طائراتنا اكثر فأكثر ، وكان من الطبيعي ان لا يباغت هذا القيادة العليا اذ لابد من وقوعه وكان مما يجب اخذه بنظر الاعتبار عند وضع خطط النقل الجوى وقد سبق واشرت الى حتمية وقوعه فى مرحلة مبكرة جداً .

وتمت اخيراً التحضيرات اللازمة للهجوم الهادف لانقاذ ستالينغراد وكان الجميع بانتظار الشروع به باهتمام وخاصة قطعات الجيش السادس ، وكانت كافة الوحدات القادمة من القوقاز فى مواضعها تقريباً ووصلت بعض التقريبات من المانيا وانيطت القيادة العامة الى الجنرال « هوث » قائد الجيش المدرع الرابع وكانت بامرته ثلاث فرق مدرعة كاملة القوى تقريباً وقوة قليلة من المشاة لستر اجنحته وبعض قطعات المقر العام بضمنها فوج دبابات النمور وكانت هذه القوة

ضعيفة جداً للقيام بالوجب المعهود اليها والانكى من ذلك ان لا يؤمل امكان انفتاحها بالعمق اللازم .

اما الضروف التي شن فيها الهجوم فلم تكن ملائمة ، وكانت نقطة الانطلاق فى جوار (كوتيل نيكوفو) على بعد حوالي ستين ميلا عن ستالينغراد وقد ادرك الروس ان هذه هي اضعف نقطة قابلة للعطب وفى الحقيقة كانت هذه هي اضعف نقطة قابلة للعطب على طول الجبهة وسوف يتصرفون وفقاً لذلك، وما على « هوث » الا ان يتوقع مجابهة مقاومة عنيفة وحازمة ، ومن الناحية الاخرى ادرك قادة قطعات الجيش المدرع الرابع مدى اهمية هذا الهجوم بالنسبة لانقاذ جيش ستالينغراد وانهم سوف يبذلون ما بوسعهم لانجاحه كما لن يترددوا عن اية تضحية .

الهجوم لانقاذ الجيش السادس

بدء الهجوم في يوم ١٢ / كانون الاول وقد انتظرنا جميعنا ورود التقارير الاولى بقلق شديد ، وقد سارت الامور فى بادىء الامر على ما يرام وتقدم الجيش المدرع الرابع بعزم ، وفى يوم ١٨ / منه كانت قطعات هوث على بعد يزيد قليلا عن اربعين ميلا عن الحدود الجنوبية لحصن ستالينغراد المزعوم وفى يوم ١٩/منه وصلت القطعات الى خط نهر مهم هو « ميشكوفا وتم عبوره يوم ٢٠/منه وفى يوم ٢١/منه اصبحت ستالينغراد على بعد ثلاثين ميلا فقط وتوقف الهجوم هناك واستنفذ زخمه ، وكانت القطعات قليلة العدد ومتعبة للغاية ويتعذر تموينها الا بصعوبة بالغة . ولا يمكن بالشجاعة والعزم وحدهما التعويض عن نقاط الضعف هذه فضلا عن ان الروس قد جمعوا قوات كبيرة باتجاه محور تقدم الجيش المدرع الرابع ، وبالرغم من سيل الاوامر من القيادة العليا وحثها المتواصل فلم يمكن

أستئناف التقدم اذ ان ذلك يتطلب اشراك قوات جديـــدة بالمعركة ولكن لم يتيسر اي شيء منها ، وانتظرت باهتمام رد الفعل من هتلر الذي كان قبل شن الهجوم يجيب اجابته الثابتـه وبدون تغيير كلما طلب منه التعجيل بتخويل الامـر للجيش السـادس بخرق الحصـــار وهـي « فلننتظر ونـرىماينجره الجيش المدرع الرابع » ، وكان بعد الانتصارات الاولية فى الايـام القلائل الاولى فى نشوة بالغة ويتبجح بصواب قراره كلياً وكان من غير الممكن فى هذا الوقت حقاً ان يجيز قيام الجيش السادس بخرق الحصار ، ولكن حتى فى هذه الايام القلائل التي لاحت فيها بشائر النجاح كنت اعتقد ويعتقد معي كافة الامرين فى الميدان اتفاقاً بان خرق الحصار هـو الوسيلة الوحيدة الممكنة لانقاذ الجيش السـادس من الابادة المحتمة ، غير ان هتلر استعاد ثقته كلياً بنتيجة هذا الانتصار الموقت واخذ لايتكلم عن الوصول الى ستالينغراد فحسب بل وعن مسك خط الفولغا كله ايضاً وأصبح يعتقد كما يبدو ان مـن الممكن اعادة بنـاء الجبهة على سـابق عهدها قبل قيام الروس بتعرضهم الكبير ، وكان اصماً نحو كافة تقديرات الموقف الموضوعية ولايدرك انه سيكون مصير مثل هذا الهجوم الضعيف نحو هدف واسع كثيراً الفشل مـالم يعزز كثيراً ويؤمن تموينه جيـــداً ، كما لم يكن بالامكان اقناعه للامر باتخاذ التدابير المقتضية عند فشل الهجوم .

ولما توقف الهجوم على بعد ثلاثين ميلا من ستالينغراد ادرك كافـة الخبراء فى الحال انها النهاية عدا هتلر حيث قال لنـا « انتظروا لتروا ولسوف يستأنف التقدم حتماً » ولكنه لم يستأنف وفى ٢٣/كانون الاول انتهى امره .

وكانت هذه اللحظة هي اللحظة الاخـيرة حقاً والتي لازال بالامكان انقـاذ الجيش السادس فيها .

ـ الفرصة الاخيرة ـ

لقد بذلنا انا والمرشال فون مانشتاين كل مابوسعنا مرة اخرى لاقناع هتلر باصدار الامر للجيش السادس بخرق الحصار فأبى ، ولو كان قد تم ذلك لاستطاع الجيش المذكور من خرق الحصار حتماً باندفاع الجنود بشجاعة اليأس واستبسالهم ولامكن تجنب الكارثة النهائية ، وقد قضيت عدة ساعات صحبة هتلر فى كل ليلة تقريباً محاولا استمالته الى الطريق السوي ، ولم تكن مشاهد هذه المحاولات فى جوهرها الا اعادة لتلك التى سبق لى وصفها قبلا ولذلك سوف لادخل فى التفصيلات المتعلقة بالمشادات والمخاصمات والهياج المتبادل المتأتي منها انما سأذكر حادثتين يبدوان لي كنموذجين .

ففي احدى المناسبات اعتقدت اني نجحت باستمالة هتلر الى طريقتي فى التفكير عندما قال « حسناً جداً هيىء رسالة الى بولس تسأله فيها عن مدى ما يستطيع الوصول اليه فيما لو امر بخرق الحصار » فتنفسدت الصعداء وبادرت بكتابة مسودة الرسالة فوراً وبحضوره خشية ان يبدل رأيه وقدمتها له لتوقيعها ، فقرأها واخذ قلما وادخل عليها الكلمات التالية « فى حالة استمرارك على مسك خط الفولغا » وهذا كما هو واضح قد بدل غرض وطبيعة الحركات المقترحة ، وكنت اشعر فى مثل هذه المناسبة احياناً باني اكاد اجن ، وعلى اي حالى فقد ارسلت الرسالةوجاء جواب بولس فى الحال تقريباً وهو عشرون او خمسةوعشرون ميلا كما اعتقد اذ نسيت العدد بالضبط وعلى كل حال فان ذلك يقصر المسافةالتي تفصله عن طلائع هوث ، اما هتلر فقد ذكر فى مؤتمر اليوم التالي الذي حضره جمع كبير من الضباط مايلى « لقد ارسلت رسالة الى بولس اسأله عن مدى ما يستطيع الوصول اليه فيما لو امر بخرق الحصار فأجاب « بأن قطعاته تستطيع

التقدم لمسافة عشرين او خمس وعشرين ميلا فقط » وعلى هذا فليس هناك من جدوى فى الامر بالقيام بمثل هذه الحركه » فاجبته « ولكنك ياسيدي اشترطع عليه الاستمرار بمسك الفولغا فشحب لونه وامتعض ولم يجب » .

وطلبت فى مساء اليوم التالي مقابلة خاصة وتوسلت اليـــه الاذن بالقيام بالخرق وبينت له ان هذه هي فرصتنا الاخيرة لانقاذ المأتى الف جندي من جيش بولس فقال هتلر « هل تستطيع ان تضمن بان جميعهم سيتمكنون من الافلات مع كافة اسلحتهم » فأجبته .

« لايستطيع احد ان يضمن ذلك ولكنى استطيع الجزم بانهم سيادون باجمعهم وستضيع كافة اسلحتهم الا اذا اعطى لهم الامر بخرق الحصار فى الحال » ولم يأبه هتلر لذلك وذهبت اقوالي سدى فى بحث الظروف السائدة في الحصن المزعوم من اليأس المخيم على الجنود الجياع وفقدهم الثقة فى القيادة العليا وموت الجرحى لعدم وجود الرعاية اللازمة وفى الوقت نفسه موت الآلاف من الانجماد ، ولم يتأثر هتلر بمثل هذه المناقشة كما لم يتأثر لغيرها عما سبق لي وقدمت ، وحيث لم تفلح اقوالي فى اثارته فقد كنت ارجو ان استطيع ارائته بام عينيه ماكان يجري فى جيب ستالينغراد فأفترحت عليه ان أطير معه الى مقر جحفل جيش دون لكي يرى ما كانت عليه الاحوال فى الجبهة على الاقل فرفض هذا الاقتراح ، ثم اقترحت ان تطير نخبة من الضباط من ستالينغراد لتشرح له الاحوال السائدة هناك حسب معلوماتها الخاصة المباشرة فرفض هذا الاقتراح ايضاً ، والواضح حقيقة انه كان يفضل ان لايعرف ماجرى داخـــل الجيب تماماً ، فبادرت وعلى مسئوليتي بارسال رسالة الى مقر الجيش السادس طالبـــاً فيها ان يطير الجنرال هيوب من ستالينغراد ، وكان هتلر يكن لهذا الجنرال اسمى آيات الاحترام وبصفة خاصة ولذلك فهناك أمل على الاقل بامكان استماع هتلر

لما سيقوله ، ولقد رأيت هيوب قبيل مقابلته لهتلر فسألني عما اذا كان باستطاعته بيان الحقيقة للقائد الاعلى وكان كما يظهر قد سمع الاشاعة الرائجة في ذلك الوقت وهي عدم امكان اخبار هتلر بالحقائق ، فطمنته ان هذا غير صحيح وانما يجازف من يخبره الحقيقة باثارة غضبه والتعرض لما قد يشينه ، وهي مجازفة يحجم الكثير عن مجابهتها ، وهنا قلت لهيوب بأنه ليس لك اخبار هتلر بالحقيقة فحسب بل ويحتمه الواجب عليك .

ولما قابل الجنرال هوب هتلر بدأ الدكتاتور كعادته بمحاولة استمالة زائره لجانبه فقال انه عارف بالظروف الصعبة جداً السائدة في الحصن ، وبالنقل الجوي الذي لم يكن فعالا كلياً بعد واسترسل هتلر وقال مهما كان فانه اتخذ التدابير اللازمة وسوف يطرأ تحسن ملموس قريباً وتحدث هتلر لفترة من الوقت محاولا بهذا الاسلوب رد اي مجادلة قد يثيرها هيوب وأخيراً سمح لهيوب بالحديث فشرح الموقف على حقيقته بوضوح وجدية ، ولا نبالغ ان قلنا انه كان يتوسل اليه لانقاذ جيش ستالينغراد دون جدوى ، فأدرك هيوب ذلك واستشاط غضباً ، وكان هيوب صريحاً وقال اخيراً « لقد فشل النقل الجوي ويجب ان يقع اللوم على بعضهم ياسيدي ، ولماذا لاتعدم احد قادة القوة الجوية ؟ فقد اعدم حتى الان قادة الجيش وحدهم لاخطائهم وقد حان الوقت لتعطي القوة الجوية جرعة من نفس ذلك الدواء » فضاق هتلر ذرعاً بهذه الملاحظة (وقد سمعته فيما بعد يذكرها لـ غورنك بقوله « لقد سألني لماذا لم اعدم احد قادة القوة الجوية ، وعلى تحمل هذا النمط من الامور ! » فوضع حداً لهذه المحادثة بقوله « ان لدي معلومات دقيقة عن الحصن ومصاعبه وفي الحقيقة لايستطيع احد ان يدافع بقوة من اجل جيش ستالينغراد اكثر من رئيس اركاني » وهكذا لم تنجز زيارة هيوب شيئاً عدا تكرار الضمانات الباطلة الاعتيادية ، وكانت النتيجة الوحيدة منها هي تأليف هيأة

جوية خاصة برآسة المارشال ميلش للتنسيق والسيطرة على النقل الجوي الى ستالينغراد ولم يؤد ذلك الا الى تغيير طفيف جداً في الوضع لان التدابير الجديدة لم تأت متأخرة فحسب بل وكانت فوق طاقة القوة الجوية الالمانية لادامة تموين جيش كامل فى موسم الشتاء كما تنبأ بذلك حقيقة الكثير من ضباط القوة الجوية .

الموقف في اواخر كانون الاول

وهكذا اشرفت سنة ١٩٤٢ على نهايتها وكان البلاغ الرسمي للقوات المسلحة يشير الى قيـــام قواتنا فى منطقة ستالينغراد بهجمات قوية بينما كان الموقف فى الواقع يتطور لغير صالحنا بدرجة بالغة اذ كان جحفل الجيش « دون » غير قادر على مقاومة الضغط الروسي واندفعت جبهته الى الخلف ، كما لم يقو الجيش المدرع الرابع على الاحتفاظ بالمواضع التي سبق ووصلها فى ٢١/كانون الاول وازدادت المسافة بين قطعاته الامامية وستارات الجيش السادس مرة ثانية لاكثر من ستين ميلا ، ووسع الروس تعرضهم الشتوي الى اقصى الشمال الغربي فقد هجموا على الجش الايطالي الذي كان يشغل قاطعه بين الرومانيين والهنغاريين ودحروه كما اصبح الهنغاريون فى خطر ايضاً ، وقد ادت هـــذه التطورات الى زيادة حراجة الموقف فى اقصى الجنوب من الجبهة الرئيسية ، كما ساء الوقف فى حصن ستالينغراد رغم عدم قيام الروس بأية هجمات رئيسية مباشرة بعد ، وكان النقل الجوي غير واف بالغرض كلياً وسرعان ما اصبح العجز اكثر مضاء وقلصت ارزاق القطعات المرة بعد الاخرى واضحت غير كافية لابقاء الجنود على قيد الحياة لاي فترة من الزمن ، ومع ذلك فالواضح ان لامناص من تخليص جديد عما قريب ، كما ان فشـــل هجوم الجيش المدرع الرابع قد اوهن عزائم الآمرين وقطعاتهم معاً داخل الجيب ،وزادها وهناً زيف ما شجعوا عليه فى الأمل والاعتقاد

بان ارساليات التموين هي بطريقها اليهم ، اما الاحوال السائدة فى الجيب فلا يمكن وصفها وسيما من قبل من لم يشهدها هناك وقليل ممن كانوا هناك نجوا وعاشوا ليتحدثوا عن قصتهم ، وقد حرصت ان يكون هتلر على علم تام بمجريات الامور باستمرار فلم يفوت عليه شرح اي شيء او يخفى عنه اي تفصيل ، ولكنه كما يبدو لم يتأثر كلياً بالمأساة الماثلة وقد تمسك ظاهراً بفكرته الاصلية زاعماً بان قراره فى الاحتفاظ بستالينغراد هو اصح قرار بالنسبة لتلك الضروف مبرراً زعمه ان بمسك ستالينغراد ثبت الجيش السادس تشكيلات روسية كبيرة وبذلك حيل دون قيام العدو بحركات واسعة النطاق فى اماكن اخرى وتمكنا من تكوين خط جبهة جديدة ومستقرة . وكان ردى لهذه الحجج بالقول « ان أدار الروس حركاتهم بصورة صحيحة ـ والمفروض انهم فاعلون ـ فانهم سيتركون اقل عدد ممكن من الفرق لمحاصرة جيش ستالينغراد دون الهجوم على حصن ستالينغراد فى المستقبل القريب مطلقاً ويستمروا بالاندفاع غرباً باكثر قواتهم وبذلك يرغم جنودنا فى ستالينغراد على الرضوخ لمصيرهم المحتوم دون اي قتال حتى فى معركة واحدة فيقعوا غنيمة باردة بيد العدو كسقوط الفاكهة الناضجة من الشجر ، وقد صحت هذه النبوة فعلا ولكن هتلر تمادى بغيه وراح يشجع القطعات المطوقة على الصمودحتى ما بعد فشل هجوم الجيش المدرع الرابع فارسل لهم رسالة السنة الجديدة وقال فيها «أعدكم بأنا سوف لانا لوا جهداً لانقاذكم » وقد حرر هذة الرسالة هتلر بنفسه وجاءني بها مساعده الاقدم لابعثها الى الجيش السادس فرفضت ذلك ولم ارغب بارسال رسالة هي فى الواقع غير صحيحة فقال لي المساعد الاقدم ان هتلر ، شدد بأمره لارسال هذه الرسالة وانه ملزم بأخباره برفضى ارسالها ولكنى لم اتراجع واخيراً ارسلت الرسالة الى ستالينغراد عن غير طريقي والغريب ان هتلر لم يستدعنى لمحاسبتي عن ذلك حتى ولم ينوه عنها .

اما فى القوقاز فقد اخذت كارثة ثانية مماثلة لكارثة ستالينغراد طريقها للظهور منذ حوالي اواسط كانون الاول وسأشير اليها باختصار لصلتها الوثيقة بستالينغراد وبالمصير النهائي للقوات الالمانية فى القوقاز ، ففي هذا الطرف الجنوبي الاقصى للجبهة الشرقية كان قد توقف تعرضنا الصيفي كلياً منذ زمن طويل عدا بعض الهجمات المحلية التي استمرت لفترة من الزمن ثم اضطرت القيادة الالمانية اخيراً للتحول الى الدفاع فى كل مكان من هذا القاطع واخذ نجاح التعرض الروسى الشتوي غرب وجنوب ستالينغراد يهدد الان موضع القوقاز باكمله ، وقد بادرت فى اوائل كانون الاول بالفات نظر هتلر الى الخطر الداهم هناك فأبى استخلاص النتائج الواضحة من الموقت المتطور ، فالتقدمات الروسية الاخرى غرب ستالنغراد فى كانون الاول وفشل هجوم الجيش المدرع الرابع وصده نهائياً خاصة زادت كثيراً كلها من الخطر المحدق بجحفل الجيش (أ) فى القوقاز ، وبنظرة الى الخارطة نرى انه اذا ما استمر الروس فى تقدمهم فانهم سرعان ما يصلون الى منطقة روستوف واذا ما استولوا على روستوف فسوف يتهدد جحفل الجيش (أ) بخطر التطوق وشيكا ولذلك اقتضى اتخاذ تدابير وقائية مسبقاً فرتبت بالاتفاق مع مقر جحفل الجيش (أ) تهيئة خطة مفصلة للغاية لانسحاب جيشي الجحفل المذكور الجيش السابع عشر والجيش المدرع الاول نهائياً وذلك دون علم هتلر الذي لو علم لكلفني ذلك رأسي ، واستهدفت من ذلك تامين تنفيذ امر الانسحاب عند صدوره حالا ، ورغم ما يحف الكثير من الامور من الغموض فى ذلك الوقت كان امر واحد لا لبس فيه وهو اذا ما قدر واصدر الامر بانسحاب جحفل الجيش (أ) من القوقاز فانه سوف يصدره فى اللحظة الاخيرة الممكنة وعندها يكون لكل دقيقة حسابها ولاي تأخير عند وضع الخطط اثره فى تقرير مصير جحفل جيش القوقاز ، وكنت قد قمت عند فشل محاولة انقاذ ستالينغراد بمحاولة ثانية لاستحصال موافقة

هتلر باخلاء القوقاز فأبى الاصغاء الي فى حينه وفى مناسبات اخرى خلال الايام القليلة التالية كلما اشرت الى هذا الامر الهام واخيراً وفى حوالي نهايــة كانون الاول بدى وكأنه على استعداد لسماع ما اقول وكنت على انفراد معه فشرحت له الموقف فى الجنوب وانهيت قولي بالكلمات التالية« اذا انت لم تأمر بالانسحاب من القوقاز الان فستكون لنا ستالينغراد ثانية قريباً » فاثر ذلك بهتلر كما يبدو وحسبته مال لذلك فما كان منى الا انتهاز هذه اللحظة الى اقصى حد فتم لي ذلك فعلا واغتصبت موافقته مكرهاً فقال اخيراً حسناً انطلق واصدر الاوامر » فتركت الغرفة فوراً ولكني لم ابتعد كثيراً وخابرت من غرفة جلوسه الخاصة واعطيت امر الانسحاب مع طلب اضافى لنقل الامر الى القطعات حالا والشروع بالانسحاب فوراً وما كان قيامي بذلك الا خوفى من تردد هتلر وقد تحقق ذلك فى الحال فما ان رجعت الى مقري فى فترة تقل عن نصف ساعة حتى وجدت احد ضباط ركني بانتظاري ليخبرني بورود رسالة تلفونية عاجلة للاتصال تلفونيا بهتلر فوراً فرفعت سماعة التلفون وانا عالم تماماً بما ينتظرني منه فقال : « لا تقم باي عمل الان بصدد الانسحاب من القوقاز وسوف نبحث الامر ثانية غـداً » وكان معنى ذلك طبعاً بداية سلسلة من التأجيلات المتتالية لا تنتهي الا بعد فوات الاوان ونظراً لمـا تم استطعت ان اقول « سيدي لقد فات الاوان فلقد ارسلت الامر مــــن مقرك ووصل الى قطعات الخط الامامي فعلا وشرع بالانسحاب فاذا الغى الامر الان عم الارتباك بفضاعة فاتوسل اليك تجنب ذلك » فتردد هتلر وقال « حسناً اذن فلنتركه عند هذا الحد » وهكذا نجحت فى انقاذ الجيش المدرع الاول والجيش السابع عشر من المصير الذي حل بالجيش السادس ، وقــد برهنت الاحداث اللاحقة على انها كانت فى الواقع اللحظة الاخيرة الممكنة لشروع إنسحاب ناجح من القوقاز وهكذا لم تذهب جهودي هنا على الاقل سدى .

الروس يطلبون استسلام ستالينغراد

لو اني سئلت عن التاريخ الذي اشر بدايـــة النهاية لجيش الجنرال بولس السادس لقلت انه ٨/كانون الثاني/١٩٤٣ وهو التاريخ الذي ارسل فيه الروس مبعوثهم الى حصن ستالينغراد ليطلب استسلامه رسمياً ، امـا من وجهة النظر الاخرى فلقد تقرر مصير الجيش السادس بالطبع حال تطويقه ومنعه من القيام بخرق الحصار ، وادرك ذلك كل ذي بصيرة عدا هتلر الذي اعماه عناده ، امـا الشعب الالماني فانه لم يخبر بحقيقة الموقف واخفت عنه القيادة الالمانية العليا مصير الجيش السادس المحتوم الى قبيل دنـوه من نهايته وسوف اتطرق لذلك كثيراً فيما بعـــد .

شرع الروس بهجومهم على المحيط الخارجي لحصن ستالينغراد فى الايـام الاولى من شهر كانون الثاني /١٩٤٣ ، ويحتمل ان القيادة الروسية العليا قـــد اعتقدت بان جحفل الجيش « دون » قـد دفع لمسافة كافية الى الغرب فاصبح بامكانها القضاء على جيب ستالينغراد دون ان تخشى من مداخلة القوات الالمانية الاخرى اما ما دعى الروس لاتخاذ قرارهم لشن هجومهم فى ذلك الوقت بدلا من مجرد الانتظار لانهيار الجيب تلقائياً وبدون ان يتكبدوا خسائر فلا يعرفه الا القادة الروس وحدهم ومن المحتمل انهم قد تأثروا بثلاث اعتبارات هي ـ اولا ـ اعتقادهم بان حركاتهم فى المستقبل سوف تتعرقل بدرجة خطيرة الى ان يحين الوقت الذي يستطيعون فيه السيطرة على مركز المواصلات الحيوي الذي تكونه ستالينغراد ـ ثانيـاً ـ من الممكن انهم ادركوا بان انسحابنا الطوعي من القوقاز قـــد قضى على امكانية عزل جحفل الجيش (أ) وتطويقه ـ ثالثاً ـ لاريب ان استخباراتهم قـــد اخبرتهم بان مواد التموين المدخرة فى الجيب قد استنفدت

تقريباً وان النهاية وشيكة ، ويبدو ان الاعتبار الاخير هو اكثر التفسيرات احتمالا وعلى اي حال فقد رأت القيادة الروسية العليا ان قد حان الاوان لتصفية الحساب مع الجيش السادس وقد حاولت قبل شن الهجوم ضمان استسلام ذلك الجيش بشروط دون لراقة دماء اخرى ، ففي ٨/كانون الثاني دخل مبعوثوها الحصن ومعهم طاب الاستسلام موجهاً الى الجنرال بولس وموقعاً من الجنرال الروسي قائد جبهة الدون . وكان ذلك الطلب وثيقة طويلة وصف بها القائد العام الروسي موقف الجيش السادس المطوق الميئوس منه ووعد انه اذا استسلم الجنود فأنه تضمن لهم الحياة والامان والعودة الى المانيا او الى اي بلد اخر جاءوا منه حال انتهاء الحرب وانهيت الوثيقة بالتهديد والوعيد بانه ان لم يستسلم الجيش الان وفقاً لهذه الشروط فسوف يباد برمته وفى حالةرفض هذا العرض فسوف يتحمل قائد الجش السادس المسئولية الكلية للنتائج المترتبة فى المستقبل وحدد وقت معين للجواب هو الساعة العاشرة من صباح يوم ٩/كانون الثاني ١٩٤٣ .

اتصل بولس بهتلر فى الحال وطلب تخويله حرية العمل فرفض طلبه بخشونة فى التو ، وانـــه لمن الصعب تصوير حالة هتلر النفسية فى ذلك الوقت ولكني ساحاول وصفها كما رأيتها ، فكان كالعادة كثير المراوغـــة واضفى على مظهره الخارجي بما ينم عن الثقة بنفسه وعن تأكده حقاً بانتهاء معركة ستالينغراد وكما يرام واخفى خلجات نفسه الحقيقية حتى لم يلحظ مشاعره الدفينة الا الذين عرفوه عن كثب ورافقوه باستمرار واطلعوا على مزاجه المتغير من خلال ما كان يكشفه عن طويته بعبارات عابرة في اغلب الاحيان ، ومع ذلك فقد اوعد برسالة عيد الميلاد التي بعثها الى جيش ستالينغراد بانـه سوف ينجدهم ويخلصهم من ايدي العدو ، كما اخبر بقية القوات المسلحة الالمانية والشعب الالماني المرة تلو الاخرى باهمية صمود وعزم جيش ستالينغراد للاحتفاظ بالجهات الاخرى سالمة

ولا زال الحال كذلك الان وسيتوج دفاعهم البطولي بالنصر والغريب منه ان يبدى تمسكه بوجهة نظره هذه عند حديثه معي او مع المارشال فون مانشتاين قائد جحفل الجيش « دون » ولكنه من المحتمل انه صارح الجنرال يودل اقرب العسكريين الموثوق بهم اليه بانه لم يعد يعتقد بامكانية انقاذ الجيش السادس .

وقد قال الجنرال يودل اثناء محاكمته فى« نوربرغ » « اني اشعر بأسى عميق نحو الجنرال بولس الذي لم يعرف بان هتلر اعتبر جيشه مفقوداً منذ اللحظة التي بدأت تهب فيها اولى عواصف الشتاء على ستالينغراد ، اما تلك الاسباب الدعائية الصارخة لتبرير الاحتفاظ بستالينغراد فانه من المحتمل انها لم تمثل حقيقة افكار هتلر التي تجاوزها فقد كان اسير اعتقاده العنيد بانه « حيثما وضع الجندي الالماني قدمه فانه يبقى هناك » و « انني لست تاركا الفولغا » وكان يرد ذلك مراراً و « عندما نقاتل الروس فلا تفكير فى الاستسلام » . وفضلا عن ذلك انه تصرف منذ البداية بخلاف نصيحتي ونصيحة قادة جحافل الجيوش المسؤولين بصورة مباشرة وهو لا يقر الان بارتكابه اي خطأ ، وكان ذلك حقيقة الحجز الاساسي لحالته النفسية الراهنة وهو بالطبع اذكى من ان يكشف ذلك لجنوده او للشعب الالماني واستغل جهاز الدعاية لطمس حقيقة الامر ، ويحتمل انه اخفى مشاعره الحقيقية عن الاخرين حتى المقربين اليه ، ولكن هل كان يشعر بتأنيب الضمير ؟ وهل كان يدرك جسامة الكارثة التي كان مسئولا عنها ، وهل تأسف على مئآت الآلاف من الجنود الذين حكم عليهم ظلماً بالموت او بالاسر الروسي ؟ وهل تألم من وخزات تبكيت الضمير ؟ واحسب ان الجواب لهذه الاسئلة هو سلبياً حتماً ، فقد كان ينقصه ذلك النوع من التصور الذي يساعد الانسان على مشاركة الاخرين الامهم ورغم تكرار هتلر الممل لقوله انه سبق وقاتل شخصياً فى الخنادق فى الحرب العالمية

الاولى وانه لذلك يتحسس ما يشعره الجنود فى الجبهة فى الحرب الثانية ، ولكنه لم يحنو عليهم كما كان يشير باستمرار الى الليالي التي لم يذق طعم النوم فيها وكانت مثل هذه الملحوظات نماذج صارخة لرغبته غير المخاصة فى التأثير على الاخرين، وهذا مايفسر اسباب رفضه الخشن لطلبي وطلب قائد جحفل الجيش تخويل الجنرال بولس حرية العمل وكان جوابه الوحيد لطلباتنا المتكرر هو كلمة « لا » بخشونة وعدم لباقة ، ولعلمنا بجبروته العنيد حاولنا تخفيف الامر عليه حيث لم نسأله اصداره الامر شخصياً بالاستسلام او حتى التخويل بذلك وهو مالا يطيقه انما جل ماطلبناه هو ان يمنح بولس الحرية ليعمل ما يراه مناسباً وعندها يستطيع بولس الاستسلام على مسئولية الخاصة ولكننا لم نوفق حتى فى الحصول على هذا التخويل منه وهكذا انتهى الوقت المحدد من قبل الروس ورفض عرضهم لقبول الاستسلام بشروط خاصة دون اراقة دماء اخرى وكانت للنتائج الوخيمة لذلك اصداء عميقة وطويـــلة الامد .

الصولة الروسية

صبت المدفعية الروسية فى الصباح الباكر ليوم ١٠/ كانون الثاني /١٩٤٣ نيرانها بسد ناري على المواضع الالمانية فى حصن ستالينغراد تمهيداً لهجوم الروس عليه وبعـــد ذلك بساعتين شرع مشاتهم بالصولة على اجنحته الشمالية والغربية والجنوبيـة ، وكانت هذه هي اللحظة التي تهيبها المدافعون الذين ينقصهم العتاد منذ زمن بعيد فنشب قتال شديد طول النهار استبسل فيه المدافعون ببطولة ودمروا الـكثير من الدبابات الروسية واوقعوا خسائر جسيمة بقطعات الصولة الروسية ، كما كانت خسائرنا فادحة ايضاً وقـد اخبرنا الجيش السادس لاسلكياً فى مساء ذلك اليـــوم باختراق الروس لمواضعنا فى الشمال والغرب والجنوب دون ان

يتمكن الجيش السادس من سد الثغرات الحاصلة كما اضطر للتخلي عن اجزاء واسعة في الجبهة الدفاعية بتخويل من مقر الجيش السادس او بدون ذلك وشدد الخناق على الجيب باستمرار خلال الايام القليلة التالية واخذت الرقعة التي يشغلها الالمان تضيق شيئاً فشيئاً وازدادت الاهوال التي تكابدها القطعات كثيراً ، وبلغ الجيب في ١٦/كانون الثاني/١٩٤٣ حوالي الخمسة عشر ميلا طولا في اطول نقطة فيه وحوالي التسعة أميال في اعرض نقطة فيه ، أي انه اصبح نصف ما كان عليه طولا وعرضاً قبل بدء الصولة الروسية وكانت اخطر خسارة هي ضياع مطار بيتومنك *PITOMNIK* الذي كان يمون عن طريقه حصن ستالينغراد قبلا .

وقد تلاشى الان حتى تفاؤل هتلر المزعوم فتحدثت البلاغات الرسمية للقيادة الالمانية العليا لاول مرة وبايعاز من هتلر عن خطورة الموقف المتطور الان فبينما نوه البلاغ الرسمي ليوم ١٠/كانون الثاني عن قيام دوريات القتال باعمال محلية فقط جاء في البلاغ الرسمي ليوم ١٦/كانون الثاني وصف لمعركة دفاعية ضد قوات العدو الهاجمة من جميع الجهات ، ومع ذلك لم يزل هتلر يرفض منح بولس حريه العمل التي طلبها له قائد جحفل الجيش مراراً والتي لم انفك في طلبها عند محادثاتي معه ايضاً وكان جوابه ترديده على وتيرة واحدة لقوله المأثور «ان استمرار صمود الجيش السادس في كل يوم هو بحد ذاته معاونه كبيرة لباقي الجبهة الشرقية وان الجيش السادس يثبت قوات روسية قوية ويكبدها خسائر فادحة » غير ان المأساة في ستالينغراد كانت تقترب من نهايتها ويعني كل يوم جديد للجندي العادي المقاتل ان هناك جرعـــة مجددة من الجوع والعوز والحرمان ومصاعب من كل نوع وبرد قارس ووحدة نفسية ويأس وخوف من الموت انجماداً او جوعاً وخوف من الجروح التي لاتجر معالجتها في مثل تلك الظروف ، ولم يكن هناك خيار للجندي مهما كان طبعه شجاعاً او يائساً او غير مبال او اياً كانت مشاعره سوى

الاستمرار على القتال دون راحة او توقف مدركا ان الظروف القاسيه التي يعيشها الان انما تزداد هولا ان ظل على قيـــد الحياة والحـالة التي يمر بهـا ماهي الا كابوس رهيب بدون نهاية ، وكانت ظروف الضباط الاحداث وذوي الرتب المتوسطة مشابهة لظروف قطعاتهم بالاضافة الى عبء المسؤولية الملقاة على عاتقهم عن حياة جنودهم المودعين امانة باعناقهم وعجزهم عن معاونتهم ولعلمهم بعـدم جدوى محاولة تنفيذ الاوامر التي تلقوها بقطعات جائعة وبعتاد غير كاف وكل ذلك ففي النهاية ليـس الا المصير المحتوم ، اما ظروف القادة الاقدمين وضباط ركنهم فكانت فى الظاهر احسن نوعا ما فى بعـض الاحيان الا ان اعباءهم كانت اكـثر فى تحمل ضـغط مسؤولية اعلم وانهم لم يستطيعوا التشبث بالاوهام لما يتعلق بالوضع اليـائس برمته وكانوا قد ادركوا عاجلا او اجلا وحسب رتبهم وطباعهم خطل الاوامر التي تلقوها من هتلر وطبيعة الوعود المضللة التي قطعها لهم وكانت النهاية المرة التي تنتظر هؤلاء الضباط وجنودهم حقيقة حسابية ثابتة وكان كل امر يستلموه يثير عندهم نزاع عاطفي ، هل ينفذوه ام لا ؟ وانه كان عليهم تبليغ الاوامر التي يعتبرونها هم انفسهم غير صحيحة ومع ذلك كان عليهم التظاهر بالشجاعة والثقة امام مرؤوسيهم .

انقطع تموين القطعات المقاتلة بصورة كلية تقريباً واصبح الجنود يفتقرون الى الطعام والعتاد والوقود والتجهيزات على اختلاف انواعها وكان مايفقد يذهب نهائياً ولا يعوض مطلقاً وازدادت النواقص على مر الايـام ، وقد رمت عـدة وحـــدات من المدفعية آخر قنابلها ثم دمرت مدافعها واحرق سواق العجلات عجلاتهم عند نفاذ وقودها وذابت تشكيلات بكاملها وكان الجيش السادس قد اصبح هشيماً اتت عليه النار وحولته رماداً ، فلا مأوى للجرحى ولا فراش لهم ولا طعـــام او دواء او ضماد ، وكان الاطباء والجراحون بدون الات العمل

اللازم ، واستمر الحال على هـذا المنوال يوماً بعـــد يوم كما ازداد الموقف سوءاً باستمرار فترى الى متى يمكن استمرار هذه المعركة ؟

انقسم الجيب بين ١٦/كانون الثاني و٢٤/منـه الى شطرين لا اتصال بينهما الا لاسلكياً فقـط وضاعت اخر اراضي النزول الطاريء للطائرات واقلعت فى ٢٣/كانون الثاني او ٢٤/منه آخر طائرة من الجيب باتجاه الغرب وبذلك اصبح ما تبقى من الجيش السادس منقطعاً كلياً عن العالم الخارجي منذ ذلك التاريخ وليس من الصعب تصور مـا كان يعنى ذلك بالنسبة للقطعات المحاصرة فضاع كل امل لها ودب اليأس المخيف فيها .

لقد القيت مواد التموين فى الجيب المقسوم بكميات قليلة سقط معظمها فى خطوط العدو ، والذي سقط فى المناطق الصغيرة التي لازال يشغلها الالمان فقـد تعذر العثور عليها احياناً فى اكوام الثلج الكثيفة :

وفي ٢٤/كانون الثاني٩٤٣ حضر مبعوثوا الروس ثانيةوقد توقعوا وقد يكونوا فى الواقع قد افترضوا ان يستسلم الالمان الان فقرر الجنرال بولس ان يطلب تارة اخرى من هتلر السماح له بالاستسلام بشروط وقام بذلك بنفس اليوم لاسلكياً وشرح له بوضوح سبب تدهور الموقف الان وتعذر الدفاع عنه واخبره بعدم امكان تأمين القيادة المركزية فالجبهة مهشمة وعلامات الانحلال باديـــة فى كل مكان والقطعات ينقصها الزاد والعتاد كما لا تتيسر الضمادات ولا الادويـــة للجرحى وانهى حديثه بقوله ان اي مقاومة اخرى هي بدون جدوى وبات انهيار القطعات التي بأمرتـه امراً محتوماً وطلب من هتلر تخويـله صلاحية الاستسلام فوراً لانقاذ الارواح الباقية على الاقل، وايدنا هذا الطلب انا والمارشال مانشتاين هو كتابة وانا شفهياً وكان ذلك فى الواقع تكرار لطلبنا الذي عرضناه عليه خلال الاسبوعين الماضيين الا ان هتلر ظل على عناده ولم نستطع انا وقائد جحفل الجيش

زحزحته قيد انملة ولم تؤثر فيه الحقائق الناصعة الواردة فى تقرير بولس اطلاقاً كما لم يحرك فيه ساكنا عدد الموتى والجرحى ، ولا حالة تموين الارزاق والعتاد كذلك لم يؤثر الوصف المؤثر من قبل شاهدي العيان للسعير الملتهب بالقرب من ستالينغراد والذي كان يزداد فضاعة كل يوم بل ظل بارداً ولم يقتنع او يبدل وجهة نظره واخذ يردد ببساطة قوله « ان المقاومة التي يبديها الجيش السادس فى كل يوم تؤدي الى فوائد عظيمة لباقي الجبهة الشرقية ، وارسل جوابه لطلب الجنرال بولس بدون تأخير يمنع فيه الاستسلام ويأمر الجيش السادس بالاستمرار بالقتال لاخر اطلاقه واخر نفس وعلى ذلك رفض بولس العرض الروسي الثاني للهدنة ، وارسل هتلر بعد ذلك بقليل رسالة ثانية الى الجيش السادس نمقها بعبارات رنانة عن الدفاع البطولى وانقاذ العالم الغربي ، وهذا كل ما كان خارج جحيم الجيب بينما استمرت رحى الحرب تدور .

ـ النهايــة ـ

وسع الروس جبهة تعرضهم الشتائي فى شمالي وغربي جيب ستالينغراد وهوجم الجيش الهنغاري يسار الايطاليين ودحر ، والى الشمال لاقى الجيش الثاني الالماني نفس المصير ايضاً ، اما فى الجنوب فبقى الموقف حرجاً مع بصيص من الامل بانسحاب قواتنا من القوقاز فى الوقت المناسب ، ورغم اجراء هذه الحركة فى اللحظة الاخـيرة الممكنة الا انها كانت ناجحة تماماً بررت قرار الانسحاب كلياً وبذلك اصبحت الفرق التي تم تحريرها جاهزة العمل فى مكان اخر .

لم يكن المقر الاعلى لهتلر قلقاً عن مجريات الحوادث فى الجبهة الشرقية فحسب بـل وعما يجري فى افريقيا ايضا اذ احتل البريطانيون طرابلس واحاق جيش رومل خطر عظيم .

القى مارشال الرايخ غورنك عدداً من الخطب فى هذا الوقت تكلم فيها عن المعركة البطولية المحتدمة بالقرب من الفولغا ، وهو لا يبدو مدركا بانه كان بعد هتلر الشخص الرئيسي الملام على مأساة ستالينغراد وظهر انه نسى وعده الخطير بادامة تموين الجيش السادس جواً كما اخذ غورنك فى هذا الوقت يحتفل بعيد ميلاده على طريقته المعهودة فى البذخ والتبذير بينما كنا انا وضباط ركني قد انقصنا ارزاقنا الى مستوى ما كان يصرف الى قطعات بولس وذلك مساهمة صغيرة ابداء شعور الاخوة مع تلك القطعات ، اما الشعب الالماني الذي غمره جو من التوتر المرير المتزايد فقد اصبح الان عالما بالكارثة الداهمة فى الشرق وقد هيأته تقارير القيادة العليا بعناية لتقبل الاخبار السيئة القادمة ، اما وسائل الدعاية الرسمية فقد حاولت اخفاء مدى وطبيعة الكارثة تحت اوصاف المعركة البطولية التي كان يخوضها الجيش السادس .

وكانت النهاية تقترب من الجيب بسرعة وبدون هوادة وقد رفض احد قادة الفرق اطاعة اوامر رئيسه مستهدفاً بذلك انقاذ حفنة من الرجال الباقين بامرته فاستسلم للروس على انفراد كما هربت وحدة رومانية لجانب العدو بكاملها وبكافة اسلحتها ومعداتها ، واخذ الضباط الاقدمون الذين لم يستطيعوا الصمود لزخم الضروف اكثر مما تحملوا اما الانتحار او الوقوف فى خط الجبهة والاستمرار بالرمي على الروس المتقدمين حتى اصابتهم رصاصات العدو وانهت الامهم كما طلب بعض الضباط الاحداث وجنودهم السماح من رؤسائهم بمحاولة اختراق خطوط الروس والوصول الى جبهة الالمان الرئيسية وسار كثيرون فى هذا الدرب الخطير وقد استطاع فى اذار ١٩٤٣ احد العرفاء الوصول بمفرده الى الخطوط الالمانية فى ستالينغراد بعد ان لاقى اشد المشاق بضعة اسابيع ولكنه لم يعش طويلا بنتيجة مالاقاه من الحرمان والعذاب ، كذلك مات الكثيرون في

الجيب جوعاً وبرداً .

اخذ الجيب المقسوم يتقلص تدريجياً وانقسم احد نصفيه الى قسمين فاصبح الجيب فى الواقع ثلاثة اقسام من القطعات الالمانية المحاصرة ، فالقسم الشمالي منه بقيادة الفيلق الحادي عشر والقسم المركزي منه بقيادة الفيلق المدرع الواحد والخمسين والقسم الجنوبي منه بقيادة الجنرال بولس نفسه ، وهذا مـا عقد امر الدفاع وجعله اكثر صعوبة من قبل بطبيعة الحال وسهل مهمة الروس المهاجمين وعجل النهاية المحتمة ، وقد رفع الجنرال بولس تقريراً عن كل ذلك فى ٢٨/كانون الثاني وبين فيه توقع مقر الجيش السادس بوقوع الانهيار النهائي فى ١/شباط .

اما هتلر فلا زال حتى الان يرفض بشدة الاصغاء الي او الى المارشال فون مانشتاين طلبنا الاخير منح الجنرال بولس حرية العمل ولكنه بدلا من ذلك ارسل الي الجيش السادس رسالة لاسلكية مطولـة محشوة بالعبارات الرنانة مشيداً بالكفاح البطولي والولوج بصفحات التاريخ الخالدة وقد منح العديد من الاوسمة والترفيعات الى القطعات الجائعـــة والمتجمدة والمحتضرة وتوقع ان يكون ذلك حافزاً لها للاستمرار على القتال ورفع الجنرال بولس الى رتبة مارشال مكان هذا جل ماقدمه هتلر لمعركة ستالينغراد فى ساعتها الاخيرة .

وقد نوه للشعب الالماني عن دنـو النهاية فاشار بيان القيادة العليا الرسمي فى ٢٧/كانون الثاني /١٩٤٣ الى « تلك العناصر من الجيش السادس التي لا زالت قادرة على القتال » وقد ادرك حتى المدنيين الذين لا المام لهم بالشئون العسكرية ما تعنيه هـــذه العبارات ولكن القائمين على الدعاية الرسميين تمادوا بناء على التعليمات التي استلموها على التشديد على النواحي البطولية فقط للمعركة الخاسرة وقاد غورزك حملة الدعاية وارسل رسائل خاصة بالراديو الى الجيش السادس الذي كان جنوده على علم تام بانه هو الذي خيب آمالهم فزادهم ذلك حنقاً عليه ، وفى

خطاب له فى ٣٠/كانون الثاني/١٩٤٣ تكلم عن اعظم معركة بطوليـــة فى تايخ العنصر الالماني كله وقارن جنود ستالينغراد باولئك الابطال من الاغريق الذين قاتلوا الى اخر جندي فى (فيرموبولي) ولكنه اما كان يدرك بانه بمقارنته هذه تكلم عن رجال الجيش السادس وكأنهم اموات فعلا ؟ وسمع كلماته العديد مـن القطعات واولوها بهــــذا المال وعلموا ان الرجل الذي تفوه بذلك هو نفس الرجل الذي قال بصفته القائد العام للقوة الجوية الالمانية بامكان تموين الجيش السادس جواً وهو نفسه الذي اقسم بانه سيعمل على تأمين ذلك .

وسارت الايام الاخيرة فى ستالينغراد على مثل ماتوقعـه المارشال بولس فى تقريره ليوم ٢٨/كانون الثاني ، فقد ارسل المارشال بولس فى ٣١/كانون الثاني رسالة لاسلكية الى القيادة العليا للجيش ذكر فيها تـوقع وقوع الانهيار النهائي خلال الاربعة وعشرين ساعة المقبلة ، وقـــد تم فى اليوم نفسه استسلام الجيب المركزي ووقع كافـة الضباط والمراتب اسرى كما استسلم فى الصباح الباكر من يوم ٢/شباط الجيب الشمالي وفى حوالي العصر من اليوم نفسه استسلم الجيب الجنوبي ايضاً واعلن كل جيب عن دنو نهايته لاسلكياً وهاتفاً تعش المانيا .

ـ الخاتمة ـ

لقــد ادى جنود الجيش السادس واجبهم حتى النهاية رغم خطل الاوامر التي تلقوها ورغم علم كثيرين منهم ان لم نقل جلهم مدى عدم صوابها ولقد كانت معركتهم مريعة حقاً وكانوا ضعفاء من الجوع ونصف متجميدين ويائسين ومن دون عتاد او ارزاق تقريباً ومع ذلك فقـــد سببوا للقادة الروس وقطعاتهم مصاعب جمة وكبدوهم خسائر فادحة وتمكنوا من الصمود امام قوات العـدو الفائقة بدرجة كبيرة فى العدة والسلاح والعدد من ١٠/كانون الثاني حتى ٢/شباط

اي لاكثر من ثلاثة اسابيع كامله وهو عمل جليل مؤثر كثيراً بحد ذاته بالن
للارهاق البدني والنفسي والاحوال الجوية القاسية التي قاتلوا فيها ويجب ان تثم
منجزاتهم بضعفين او حتى ثلاثة اضعاف وتعجز الكلمات عن وصف الاخلاص
للواجب الذي تحلى به هؤلاء الرجال ولسوف تخلد ذكرى هذه الحقيقة فى السنين
المقبلة حالما تخف شدة التعصب وسيخلد التاريخ هؤلاء الجنود الذين لم يفكروا
بغير واجبهم فأنجزوه حتى النهاية ، ويجب ان لا يتأثر حكمنا على هؤلاء الجنود
عن الحقيقة بأن هذه المعركة كان يجب عدم القيام بها منذ البداية ابداً ، وبان
العالم قد ادان الرجل الذي اصدر اوامره باجرائها رغم معارضة كبار مستشاريه
العسكريين . ولنرى الان كيف كان رد فعل هتلر بالنسبة للكارثة ، فعندما علم
هتلر ان قد انتهى كل شيء ثارت ثائرته وغضب على المارشال بولس المرفع حديثاً
الذي فضل الاسر على الموت وقال « انه لم يتوقع ذلك منه ولو كان قد توقعه
لمارفعه » وكان هذا هو رد فعله الوحيد او على الاقل ما اظهره فقط للضباط
المحيطين به وانه لم يبد ندمه على سابق عناده او انه شعر باللائمة على نفسه لما
حدث كما انه لازال متشبثاً بنفس المجادلات التي وضعها كخطوط رسمية للدعاية
وذلك بضرورة تضحية الجيش السادس ليتسنى تشكيل جبهة جديدة ، وبان سوء
الاحوال الجوية اي بسبب الضروف الخارجة عن سيطرته قد حالت دون قيام
القوة الجوية بادامة تموين الجيش ، ورغم ان هتلر كان يمتاز بقوة ذاكرة ملحوظة
الا انه قد نسي فى الوقت المناسب باني سبق وان حذرته من مغبة الجو السيء
المتوقع معتمداً على تجربتي الخاصة فى الجبهة فى الشتاء السابق .

لم يعترف هتلر ولو لمرة واحدة بانه هو الشخص الملام او انه من المحتمل
ان يكون قد قدر الموقف تقديراً خاطئاً فهو عندما تستمع اليه يبدو على حق دائماً
وفى مختلف الظروف ، واذا ما فشلت خططه فأنه يعزي ذلك دائماً الى عوامل

غير متوقعة ولم يحسب حسابها او بسبب عدم كفاءة اولئك الذين انيطت اليهم مسؤولية تنفيذ الاوامر التي وقعها او اشد سوءاً من ذلك ، وقد بدا وهو غير متأثر بمأساة ستالينغراد الدموية والآلام القاسية لمئآت الألاف من جنوده والتعاسة التي فرضت على عوائلهم المغمورة وبدا وقد نفض كل ذلك عن نفسه وشرع بوضع الخطط بحماس للمستقبل وقال :

« سوف نخلق الجيش السادس من جديد » وكان هذا هو حله ولكن رغم امكان تسمية وحدات جديدة بالجيش السادس الا انه لايمكن اعادة خلق الجيش السادس ثانية فأنه قد مات فى ستالينغراد ومات معه الجزء الكبير من ثقة الجيش الالماني الى حد ذلك الوقت بقائده الاعلى وبتعبير اصح فقد قتل هتلر تلك الثقة بعناده نفسه .

وقد قلت لهتلر فى تشرين الثاني /١٩٤٢ اذا ما فقد ربع مليون جندي فى ستالينغراد فان ذلك سيحطم العمود الفقري لكافة الجبهة الشرقية وقد برهنت الاحداث صحة ما قلت ، اذ كانت معركة ستالينغراد نقطة تحول بالنسبة للحرب كلها .

كانت تلك النهاية راحة باردة حقاً بالنسبة الى مأساة ستالينغراد ، وقد كافحت شهور طويلة لكي يرى هتلر الطريق السوي ويصحح قراراته ولكني فشلت ولذلك اتخذت قراراً يتعلق بمنصبي كرئيس لاركان الجيش وذهبت لهتلر وطلبت منه قبول استقالتي ولكنه غضب ورفض ذلك واجابني بخشونة « لا يحق لاي جنرال التخلي عن منصبه » .

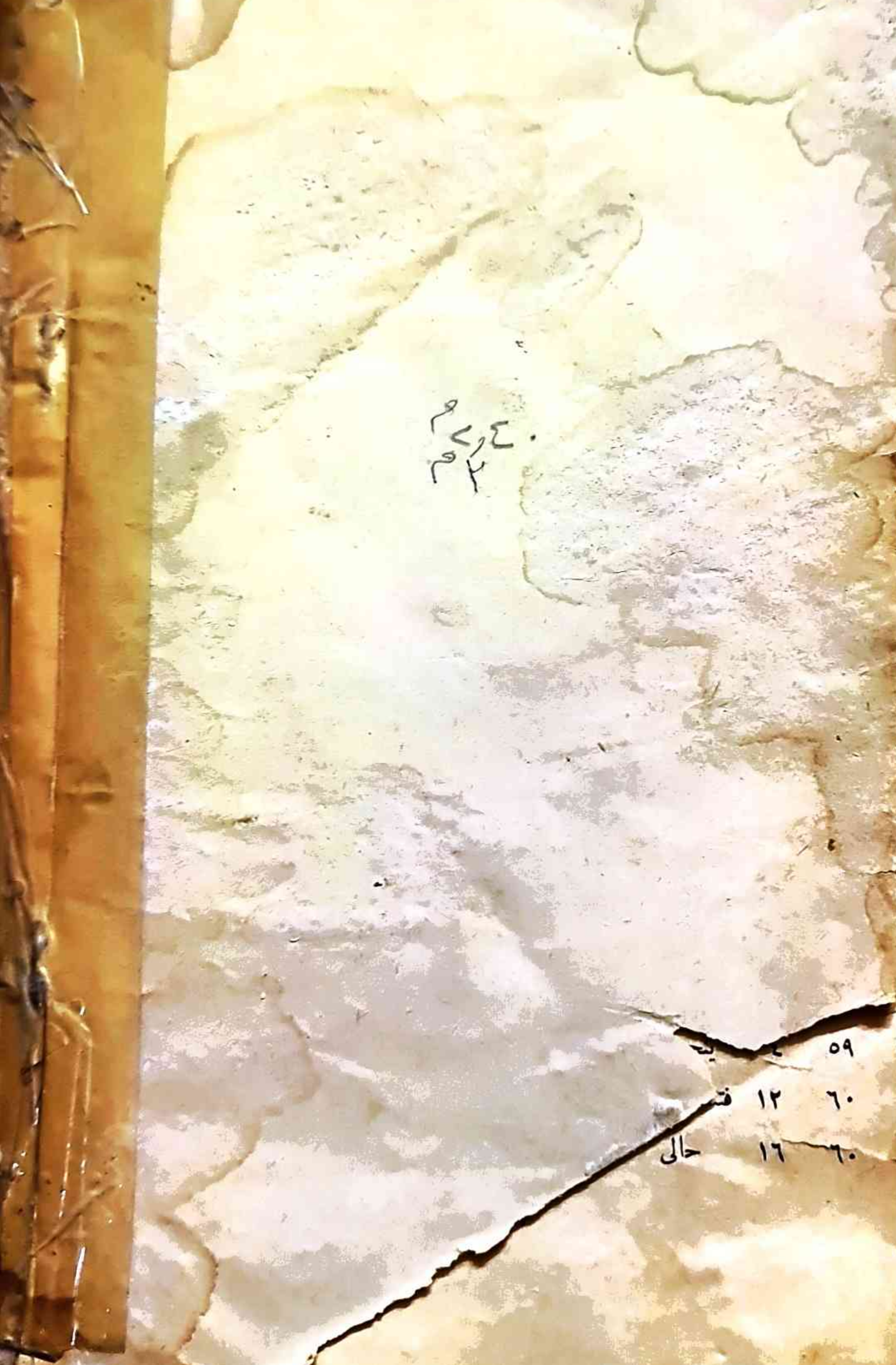


تصحيحات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	٤	تفى	تف
٩	١٤	يكفى	يكف
١٢	١١	توجه	توجيه
١٢	١٧	يستطع	يستطيع
١٢	١	العايا	العليا
١٣	٦	سحابة	سحابه
١٣	٧	الخضوص	الخصوص
١٣	١٥	هم	همم
١٣	١٧	نهمكه	منهكه
١٥	٢٠	الضروف	الظروف
١٦	١٣	للموف	للموقف
١٧	١٠	يفابلها	يقابلها
١٧	١٢	الفوة	القوة
١٨	١	بالاندحا	بالاندحارية
١٩	١	الجهة	الجبهة
١٩	٢	كافى	كاف
١٩	٥	صبح	اصبح
٢١	٤	دليل	دليلاً
٢١	٧	بجحفل	لجحفل
٢٢	١٥	النساؤل	التساؤل
٢٢	١٥	التالى	الثاني
٢٢	١٨	تخالف	مخالفاً
٢٣	٣	باحتباط	باحتياط
٢٤	٩	سرف	سوف
٢٨	١١	سصمدون	سيصمدون
٣١	١٢	غ لبا	غالباً
٣٢	٢	ستالينغر	ستالينغراد
٣٢	١٧	قاذره	قادر
٣٣	١٩	جى	هى
٣٤	٢	الميادين	لميادين
٣٧	١٩	و دت	وجدت
٣٨	١٤	ممـداً	عمداً
٤٠	٩	وعدما	وعندما
٤٢	٤	بتيجة	نتيجة
٤٢	٤٣	البوم	اليوم
٤٢	١٦	الروس	الروسي
٤٣	٣	مبالات	مبالاة
٤٧	٢١	حقيه	حقيقة

٤٩	٤	للغضب	الغضب
٤٩	١٣	مارشالى	مارشال
٥٠	١٨	رأبى	رأيى
٥١	١٥	ضابط	ضباط
٥٢	٣	ضروف	ظروف
٥٢	١٦	ذك	ذلك
٥٢	٢٠	تولى	تعطى
٥٣	٣	اطمئنال	اطمئنان
٥٥	٣	الضروف	الظروف
٥٥	١٢	الضروف	الظروف
٥٦	٢	صدرها	اصدرها
٥٦	١٧	الضروف	الظروف
٥٦	٢٠	مدد	عدد
٥٧	١٤	القادة	القيادة
٥٨	٣	الضروف	الظروف
٥٨	١٦	«يشكوفا	ميشكوفا»
٥٩	٤	ينجر	ينجزه
٦٠	١٢	فتفسدت	فتنفست
٦٠	١٦	حالى	حال
٦١	١٩	جرى	يجرى
٦٤	٦	الضروف	الظروف
٦٩	٥	بأس	بأسى
٦٩	١٢	ال راية	البداية
٦٩	١٣	الحجز	الحجر
٦٩	٦	اله	اليه
٧٠	٣	اللحظات	الملاحظات
٧١	١٦	!لجهة	الجبهة
٧٣	١	اللازم	اللازمة
٧٣	١١	عليها	عليه
٧٣	١٦	القادة	القيادة
٧٥	٧	ابداء	بابداء
٧٥	٩	النادة	القيادة
٧٥	١٦	العروف	الظروف
١٦	١٤	مكان	فكان
٧٧	١	تايخ	تاريخ
٧٧	١٨	مجميدين	متجمدين
٧٨	١٦	الضروف	الظروف
٧٩	١٦	شهور	شهوراً

الفهرست



٥٩
٦٠ ١٢ قـ
٦٠ ١٦ حالى